موقف الإسلام والمسلمين من الإساءة لرسول الله ﷺ

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله وحبيبه وصفيه وخليله ، اللهم فصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذه الورقة المقدمة للندوة العلمية التي يقيمها مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية دفاعاً عن جناب المصطفى الحبيب ﷺ ونصرة له وحفاظاً على مقامه النبوي الشريف الذي أفرده الله له من سائر النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فصار به أكرم الخلق على الله وأحب الخلق إلى الله .

ولما كان المبغضون لرسول الله ﷺ في كل زمان ومكان يسارعون إلى النيل من جنابه الكريم عليه الصلاة والسلام ؛ كان لابدّ للعلماء الأمة أن يقوموا بدور التخطيط لإيقاف مخططات الإساءة لرسول الإسلام ومقدسات الإسلام . ولن يكون ذلك إلاّ بالعلم والدراسة والبحث ، فجاء هذا البحث ضمن بحوث فقه المواجهة لمخططات الأعداء في الإساءة للنبي ﷺ.

وفيه تناولت :

ـ في المبحث الأول : مواقف القرآن الكريم من الإساءة للنبي ﷺ .

ـ وفي المبحث الثاني : عرضت مواقف السنة المطهرة من الإساءة .

ـ وفي المبحث الثالث: استقرينا مواقف الأمة من مسلمي الإنس والجن من الإساءة

للنبي ﷺ .

أسأل الله تعالى أن يوفّق إلى كل خير محبوب إليه مرضي عنده . فهو ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا قرة عيون الموحدين ، قائد الغر المحجلين، وعلى آله الطاهرين الطيبين ، وصحابته الغر الميامين ، الذين حموا جناب المصطفى من كل سهم مسئ أو نبل عدو .

المبحث الأول

موقف القرآن الكريم من إساءة المبغضين

إنّ القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على قلب حبيبه ﷺ واصطفاه به على العالمين ، هو الذي عظّم رسول الله ﷺ وملأ سوره وآياته مدحاً له عليه الصلاة والسلام ، ولذلك جعل القرآن العظيم الإساءة لرسول الله ﷺ وإيذاءه من أكبر الجرائم، وأعظم المآثم ، وأشرّ الأفعال ، وأسوأ الأحوال الدال على شر المسيئين وسواد أفئدتهم وانطماس قلوبهم وعمى بصرهم وبصيرتهم.

ذلك ؛ أنّ مقام النبوة . على أصحابه الصلاة والسلام . قد جعله ربنا تبارك وتعالى محل التبجيل والتقدير والتعظيم والتوقير ، وهذا بلا ريب يتنافى تماماً مع توجيه أي نوع أو درجة من الإساءة والإيذاء إلى أصحابه .

وعليه : فإنّ الإساءة لهذا المقام تنبئ عن انتقاض الإيمان في القلب ، واعتلال الأخلاق في النفس ، واختلال في الفطرة .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى كل ذلك في مواطن منها على سبيل المثال:

1ـ قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أنْ كنتم قوماً مسرفين . وكم أرسلنا من نبي في الأولين . وما يأتيهم من نبي إلاّ كانوا به يستهزئون) [1]. ففي الآية تصنيف للذين يستهزئون ويسخرون من أنبيائهم إساءة فيهم وتنقيصاً منهم أنهم مع المسرفين من الأمم الكافرة ، وهذا يذهب أبعد من مجرد الكفر وانتقاض الإيمان إلى ما هو أسوأ ، بأن المسيء إلى مقام النبوة من المسرفين في الكفر والنفاق المستحقين للبطش والهلاك من المنتقم الجبار .

(١) سورة الزخرف ، ٦-٧ .

٢ـ قوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين)[١]. وقوله عز وجل (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الجن والإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) [٢]. وفي الآيتين من الدلالة على اعتلال الخلق في نفس المسيء إلى مقام النبوة ما لا يخفى على متدبر ، إذ المبغض للأنبياء هو الذي تطاوعه نفسه للإساءة لهم ، ولا شك أنّ الإساءة لمقامهم والانتقاص من قدرهم والسعي لإيذائهم من أظهر الاعتداء على مقام النبوة ، وأشدّ العداوات معهم ، ولا يعتدي على مقامهم إلاّ المجرمون ، والإجرام غاية الاعتلال الخلقي في النفس .

٣ـ قوله تعالى (فطرت الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [٣]. وهو دالٌّ على الاختلال الفطري في المسيئين لمقام النبوة ، إذ الفطرة السوية لا تقبل الإساءة إلى رسل الله ، ولا تسمح بالإساءة إليهم ، ولا يمكن أن يجرؤ ذو فطرة سوية للاعتداء على الأنبياء بإساءة أو انتقاص أو طعن أو إيذاء ، مما يدلّ دلالة قوية على أن المسيء لرسول من الرسل أو نبي من الأنبياء مختل فطرياً ، خاصة لو انتبهنا إلى أنّ الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولا تبديل لها هي الدين القيم ذاته .كما أشارت الآية . والدين القيم هو الإسلام ، والإسلام يرفض ولا يقبل أو يسمح بأي حال الإساءة إلى مقامات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مما يؤكّد أن المسيء إلى نبيّ من أنبياء الله تعالى مختلٌ فطرياً إلى درجة السفه ، كما أنه معتلٌ خلقياً إلى درجة الإجرام ، ولا يمكن أن يصنف في المؤمنين بقدر ما هو مصنفٌ في المسرفين في الضلال والكفران .

لو كان هذا حال المسيئين للنبيين صلوات الله عليهم ، فالمسيء لرسولنا ﷺ أبعد انتقاضاً ونفاقاً في إيمانه ، وأكثر اختلالاً في فطرته ، وأشدّ اعتلالاً في خلقه .

---

(١) سورة الفرقان ، ٣١ .

(٢) سورة الأنعام ، ١١٢ .

(٣) سورة الروم ، ٣٠ .

ولقد وقف القرآن الكريم من هؤلاء المسيئين لجناب المصطفى الحبيب ﷺ ، المؤذين له عليه الصلاة والسلام مواقف شديدة أظهرها :

. العصمة لرسول الله ﷺ . .

. المجادلة عنه والمنافحة والمكافحة لهم . .

. التهديد والوعيد . .

. المؤاخذة العاجلة في الدنيا . .

ولنستعرض هذه المواقف الأربعة على نحو ما يلي :

الموقف الأول : العصمة والكفاية لرسول الله ﷺ :

حين انطلق رسول الله ﷺ بأمر ربه يدعو إلى دينه ويصدع بأمره بكرم الله ومنّته ؛ زاده ربه تكريماً فعرض عليه معيته ونصرته وحمايته ، وقطع له الوعد الإلهي النافذ من العلي القدير أنه عاصمه وكافيه فقال له تبارك وتعالى (يآأيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته، والله يعصمك من النّاس، إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين)[1].

والعصمة في أصلها المنع والوقاية[2] فتولى المولى عز وجل منع أعدائه عنه ووقايته منهم فلا يقدرون على النيل منه ، ولا يتمكّنون من إلحاق الأذى مما يعطله عن مهمات الدعوة ، ولا يستطيعون حيلة على تحقيق كيدٍ به ﷺ .

ثم وعده ربه بعد أن تولّى عصمته من الناس خاصة أعدائه منهم ؛ تولى كفايته بذاته وقوته ومعيته ونصرته ، فإنْ كادوا له بمكروه ما وجدوا لتحقيقه سبيلاً ، والله كافيه ، وقد قال تعالى (أليس الله بكاف عبده ؟! ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضلل الله

---

(١) سورة المائدة ، ٦٧ .

(٢) القاموس المحيط ، للفيروزابادي ، ص ١٤٦٩ بابالميم فصل العين ، مؤسسة الرسالة.

فما له من هاد)[١]. وفي ذلك تطمين لقلب المصطفى ﷺ أنّ ربه القوي العزيز الولي النصير كافيه ومغنيه عن نصرة العالمين ، فإن الكفاية ههنا بمعنى الإغناء كما جاء في الحديث : (الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه) [٢]. أي أغنتاه عن قيام تلك الليلة .

فإن كان الله تعالى القوي ذو الانتقام كافيه ومغنيه عن نصرة العالمين "فمن ذا يخيفه؟ وماذا يخيفه ؟ إذا كان الله معه ؟ وإذا كان هو قد اتخذ مقام العبودية وقام بحق هذا المقام ؟ ومن ذا يشك في كفاية الله لعبده وهو القوي القاهر فوق عباده ؟."[٣].

ثم زاده ربه تبارك وتعالى منّة وتكريماً فجاءه بوعد ثالث يعرض حسبه عليه ﷺ يقول له: (يآ أيها النّبي حسبك الله ومن اتّبعك من المؤمنين)[٤].

فالله تعالى يؤكّد لرسوله الحبيب ﷺ أنه حسبه في كل حين ، والحسب هو الكافي له الحسيب لعدوّه بالانتقام منه [٥].

ومعنى الآية كما يقول الطبري رحمه الله: " يا أيها النبي حسبك اللهُ، وحسب من اتبعك من المؤمنين اللهُ ... ناهضوا عدوكم فإنّ الله كافيكم أمرهم ، ولا يهولنّكم كثرة عددهم وقلة عددكم ، فإنّ الله مؤيدكم بنصره "[٦].

وهذه الوجوه الثلاثة متقاربة في معانيها الدالة على النصرة والعصمة والكفاية والحماية، غير تلك المعاني تتحقق جميعها بتكامل وتلاق وتعاضد ، دالة على فروق دقيقة بينها ، وإنْ صبت جميعها في العصمة الإلهية والحماية الربانية لرسول الله الكريم عليه

---

(١) سورة الزمر ، ٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري باب شهود الملائكة بدراً ج١٢ ص ٤٠٢ برقم ٣٧٠٧ .

(٣) في ظلال القرآن ، الشهيد سيد قطب رحمه الله ، ج٥ ص ٣٠٥٣ .

(٤) سورة الأنفال ، ٦٤ .

(٥) راجع : القاموس المحيط ، ص ٩٤ .

(٦) تفسير الطبري ، ج١١ ص ٢٥٩ بتحقيق التركي .

أفضل صلاة وأتم تسليم .

فإن العصمة في قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) تكون عند ابتغاء السوء به عليه الصلاة والسلام وقبل وقوع ذلك . بينما الكفاية في قوله سبحانه (أليس الله بكاف عبده؟) فتأتي عند إرادة تحقيق الشر والعزم عليه . أمّا الحسب في قوله (يا أيها النبي حسبك الله) فإنه يكون عند المواجهة مع العدو المتربص .

ويمكننا أن نمثّل لهذه الأحوال الثلاثة ببعض الوقائع على سبيل المثال لا الحصر.

 فمثال العصمة الإلهية لرسول الله ﷺ من قبل وقوع الأذى به:

١ـ ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو جهل : " هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم ، قال : فقيل : نعم . فقال : واللات والعزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب " قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى زعم ليطأ على رقبته ، قال : فما فجأهم منه إلاّ وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له : مالك؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة " قال رسول الله ﷺ : (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)[(١)] وأنزل الله عز وجل (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ... أرأيت إنْ كذّب وتولى ... كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ...) [(٢)]. وصدق وعد الله (والله يعصمك من الناس).

٢ـ ما أخرجه أحمد وغيره أنّ الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف:"لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله". وأخبرته ابنته فاطمة بالذي قالوا فجاءهم وحصبهم بقبضة من تراب فما قام أحدٌ ولا اقترب منه واحد[(٣)] فصدّق وعد الله القوي العزيز: (والله

---

(١) مسلم حديث رقم ٢٧٩٧ ، والبخاري رقم ٤٩٥٨ .

(٢) سورة العلق .

(٣) أحمد في المسند ج٤ ص ٢٦٩ ، برقم ٢٧٦٢ وصححه أحمد شاكر، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٨ص ٢٢٨ .

يعصمك من الناس). فما أصاب أحدهم منه إلاّ قُتل يوم بدر وأُلقي في القليب .

 ومثال الكفاية لرسول الله ﷺ عند إرادة الأذى به: ما جاء في سيرة ابن هشام ومسند الحميدي وسير أعلام النبلاء أنّ أم جميل العوراء امرأة أبي لهب . حمالة الحطب في جهنم . حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن (تبت يدا أبي لهب تب... وامرأته حمالة الحطب...) السورة . أقبلت ولها وَلْوَلَةٌ ، وقد ملأت كفها من حجارة ، وهي تقول :

مذمماً عصينا

وأمره أبينا

ودينه قلينا

والنبي ﷺ في المسجد(عند الكعبة) فقال أبوبكر رضي الله عنه :" يارسول الله ! قد أقبلت وأخاف أن تراك) قال ﷺ : (إنها لن تراني) وقرأ قرآناً فاعتصم به، حيث قرأ (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً)(١) فوقفت على أبي بكر ولم تر النبي ﷺ فقالت : " إني أخبرت أن صاحبك هجاني، ثم ولّت(٢).وصدق الله (أليس الله بكافٍ عبده ؟).

 ومثال الحسب والنصرة عند مواجهة المسيئين والساعين بالأذى لرسول الله ﷺ ما يرويه جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنهم عندما قفل رسول الله ﷺ من غزوة ذات الرقاع، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ وتفرّق الناس يستظلون الشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة علق بها سيفه ، قال جابر : "فنمنا نومة ، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ : (إن هذا

---

(١) سورة الإسراء ، ٤٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ، ج٢ ص ٦ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ج١ ص ٧٧ – ٧٨ عن الحميدي في مسنده ج١ ص ١٥٤، وأبي يعلى في مسنده ج١ ص ٥٣.

اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً ، فقال لي: من يمنعك مني ؟فقلت له : الله ، فها هو ذا جالس)[1].

وقصته عند الواقدي وابن سعد : أنّه عندما وقف بالسيف على رأس الرسول ﷺ قال : من يمنعك مني اليوم ؟ فقال ﷺ:(الله) فوقع السيف من يده ، فأخذه الرسول ﷺ ووقف على رأسه قائلاً: (من يمنعك مني اليوم ؟) قال : "لا أحد "[2]. فصدقه ربه وعده (ياأيها النبي حسبك الله).

الموقف الثاني : المجادلة والمنافحة عنه والمكافحة لهم :

أينما كان المبغضون للنبي ﷺ ووقتما كانوا كان الإيذاء له والسعي للإساءة إلى مقامه والنيل من جنابه عليه الصلاة والسلام ، من لدن أبي جهل رأس الكفر مروراً بابن أبي سلول رأس النفاق وانتهاءً بزنيم الدنمارك رأس السفه المسيء لرسولنا الحبيب ﷺ .

وكان من أظهر الإيذاء الذي يوجّه للرسول ﷺ ، بقصد الإساءة إلى مقامه : الطعن في دينه أو نبوته ، أو التشكيك في رسالته ، أو التهكم بتعاليمه ، أو إلقاء الشُبَه في كتابه أو سنته، أو إلصاق التهمة به ، أو القذف له بتنقيصه في نسبه أو شخصه أو خَلقه أو خُلقه أو غير ذلك .

وقد وقف القرآن الكريم من ذلك موقفاً النصرة لرسول الله ﷺ يجادل عنه الكافرين، وينافح عن دينه ورسالته وتعاليمه وسنته ، ويكافح الشُبَه التي تثار طعناً فيه وفي دينه وفيما أوحي إليه من ربه . ما أثار الكفار شيئاً إلاّ كان القرآن لهم بالمرصاد ، يبطل أباطيلهم بالحق المبين ، ويردّ شُبههم بالحجة ، ويقطع تشكيكهم بالمحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاّ هالك .

---

(١) البخاري برقم ٤١٣٥ و٤١٣٦ ، ومسلم برقم ٨٤٣ كتاب المسافرين ،صلا الخوف. وانظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د. مهدي رزق الله ، ص ٤٢٦ .

(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص ٣٧٦ .

- فحينما شككوا فيما أُنزل عليه من ربه ، وطعنوا في الوحي ، وأطلق الكفار بين الناس أنّ ما يدعيه محمدٌ ﷺ ليس قرآناً منزّلاً من عند رب العالمين ، بل هو من تعاليم البشر ، فقالوا : يعلم محمداً هذا الذي يتلوه بشرٌ من بني آدم ، وما هو من عند الله " فأنزل الله تعالى راداً تشكيكهم ودعواهم :(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) [1]. وذلك أن رسول الله ﷺ كان يعلم قيْناً بمكة اسمه بلعام ، وكان أعجمي اللسان ، فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده ، فقالوا : إنما يعلمه هذا الذي يتلوه بلعام . فكذّبهم الله تعالى في قيلهم ذلك يقيم عليهم الحجة الواضحة والبرهان القاطع: أن لسان الذي تدعون أنه يعلّم محمداً ﷺ لسانٌ أعجمي ، والقرآن الذي يتلوه محمدٌ ﷺ ذو بلاغة عربية وبيان واضح ، فكيف تزعمون أن بشراً يعلّمه من العجم ، وقد عجزتم أنتم عن معارضة سورة منه وأنتم أهل اللسان العربي ورجال الفصاحة وقادة البلاغة ؟!. فأبطل تعالى طعنهم ودفع كذبهم.[2].

- وعندما طعنوا في صدقه في دعوته ونبوته ، وتناقلوا فيما بينهم بل ويعلنونه في الناس أن رب محمد قد ترك محمداً وقلاه وأبغضه . وذلك حين أبطأ الوحي على النبيّ ﷺ واحتبس عنه أياماً فقال المشركون :"إنّ محمداً ودعه ربه وقلاه ، ولو كان أمره من الله لتابع عليه ، كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء" فنزلت سورة الضحى تكذيباً من الله قريشاً في قيلهم لرسول الله ﷺ [3]، يقول له ربه تبارك وتعالى مقسماً بخلقه العظيم (والضحى والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خيرٌ لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى)[4].

---

(١) سورة النحل ، ١٠٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ، ج١٤ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ، وتفسير الشوكاني ، فتح القدير ، ج٣ ص ٢٣٢ – ٢٣٤ .

(٣) راجع : تفسير الطبري ، ج٢٤ ص ٤٨٤ ، تفسير القرطبي ، م ١٠ ج ١٩ ص ٨٢ – ٨٣ تفسير سورة الضحى .

(٤) سورة الضحى ١– ٥.

▯ وهـذا نـوع مـن أذيـة وإسـاءة المنـافقين لرسـول الله ﷺ إذ كـانوا يبسـطون ألسـنتهم بالوقيعـة في أذيتـه ﷺ ، وقـد استهزءوا برسـول الله يحكمـون عليـه بالسـذاجة وأنـه يسـمع كـل شـيء يقـال لـه ويصـدقه مـن غـير أن يتبـيّن صـدق القـول أو كذبـه ، وهـو قولـه تعـالى (ومـنهم الـذين يـؤذون النـبي ويقولـون هـو أذن ، قـل أذن خـير لكـم يـؤمن بـالله ويـؤمن للمـؤمنين ورحمـة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) (١).

قـال محمـد بـن إسـحاق : "نزلـت في رجـل مـن المنـافقين يقـال لـه نبتـل بـن الحـارث، وكـان رجـلا أذلم، ثـائر شـعر الـرأس واللحيـة ، آدم أحمـر العينـين، أسـفع الخـدين، مشـوَّه الخلقـة، وقـد قـال النـبي ﷺ: "مـن أحـب أن ينظـر إلى الشـيطان فلينظـر إلى نبتـل بـن الحـارث"، وكـان ينـم حـديث النـبي ﷺ إلى المنـافقين، فقيـل لـه: لا تفعـل، فقـال: إنمـا محمـد أذن فمـن حدَّثـه شـيئًا صـدقه، فنقـول مـا شـئنا، ثم نأتيـه ونحلـف بـالله فيصـدقنا . فـأنزل الله الآية"(٢).

فـردّ عليـه وأصـحابه مـن المنـافقين: (قُـلْ أُذُنُ خَـيْرٍ لَكُـمْ) أي: مسـتمع خـير وصـلاح لكـم، لا مسـتمع شـر وفسـاد ، أن يسـمع مـنكم ويصـدقكم خـير لكـم مـن أن يكـذبكم ولا يقبل قولكم.(٣).

▯ وهنـا موقـف لمـبغض مسـيء لرسـول الله ﷺ يرمـي إلى الانتقـاص مـن رسـول الله ﷺ في عقبـه بمعيـار أهـل الجاهليـة ، فـإنهم كـانوا مـات ابـن الرجـل أو مـات البنـون وبقـي البنـات قـالوا : بُـتِر فـلانٌ ، يعنـون بـذلك أنـه صـار مقطوعـاً ذكـره مـن خـير الـدنيا والآخـرة. فلمـا مـات إبـراهيم ابـن النـبي ﷺ خـرج أبـو جهـل فرحـاً مسـروراً إلى أصـحابه المشـركين يقـول لهـم : " بُـتر محمـد " يريـد بـذلك الانتقـاص منـه عليـه الصـلاة والسـلام بحيـث يطعـن في أهليتـه للنبـوة

---

(١) سورة التوبة ، ٦١ .

(٢) تفسير البغوي ، ج٤ ص ٦٧ ، تفسير القرطبي ، م٤ ج٨ ص ١١٨ – ١١٩ ، المحرر الوجيز لابن عطية ، ج٢ ص ٢٧٦ ، أسباب النزول للواحدي ، ص ١٦٨ .لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، ص ٤٥١ .

(٣) المصادر السابقة نفسها .

والرسالة ، وقلته بين قومه وعشيرته فأنزل الله تعالى[1] يردّ عليهم إساءتهم ، منافحاً عن جناب حبيبه المصطفى ﷺ : (إنّ شانئك هو الأبتر)[2]. وكيف لا يكون هو الأبتر ؟ فإن كان عندهم انقطاع المرء عن ابن يقوم بعده بتراً ؟ فكيف بمن يُقطع هو نفسه ؟ فلا خير يتركه في حياته ليقوم به من بَعدَه ، ولا يُترك هو لخير الدنيا ولا لخير الآخرة . فإن أبا جهل قد بُتر وانقطع بذاته عن خير الدنيا ورُمي في القليب ببدر، وبُتر عن خير الآخرة فلا نصيب له فيها إلاّ جهنم خالداً فيها بلعنة الله ، فذلك هو البُتران المهين والخسران المبين .

 ثم ذهب المبغضون للنبي ﷺ في مكة خاصة كبراء القوم حين شعروا أن مكانتهم قد اهتزت ، وأن جاههم لفي خطر شديد، أسرعوا ساعين إلى تثبيت المكانة وإيقاف الخطر الملك لجاههم فلجأوا إلى الطعن في مكانة رسول الله ﷺ بين عشيرته ، لو يوقفوا مدّ جاهه وقبول رسالته في الناس فقالوا: (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) فردّ الله عليهم منافحاًُ عن رسول الله ﷺ يشهد له ربه العلي العظيم أنه رسول كريم مرفوع القدر عظيم الشأن أعلى منهم درجة برحمة أرحم الراحمين يقول لهم (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون)[3].

وهكذا نجد أن القرآن الكريم ما تأخر عن نصرة رسول الله ﷺ ، ولم يقف معه إلاّ مواقف النصرة الكاملة ، ما أثاروا فيه سوءاً أو أرادوا به إساءة ، أو رموه بأذىً إلاّ نافح عنه يجادل عنه المبغضين ، ويكافح الشانئين ، ويجيب عن شبهات المشركين. فكان براً برسوله رحيماً بنبيه ﷺ ، له الحمد في الأولى والآخرة .

الموقف الثالث: التهديد والوعيد للمسيئين والمؤذين:

---

(١) راجع : تفسير القرطبي ، م١٠ ج٢٠ ص ١٩٧ – ١٩٨.

(٢) سورة الكوثر ، ٣ .

(٣) سورة الزخرف ، ٣١ – ٣٢ .

وهـذا موقـف ثالـث مـن مواقـف القـرآن الكـريم الناصـرة لرسـول الله ﷺ يقابـل إسـاءة المبغضـين بتهديـد القـادر على تحقيـق مـا هـدّد بـه ، وبوعيـد القـاهر فـوق عبـاده الجبـار المنـتقم، فما أساء إلى رسول الله ﷺ أحدٌ إلاّ عاجله ربه ينزل فيه قرآناً يهدده ويتوعده !!..

 فهـذا أميـة بـن خلـف الكـافر الرعديـد كـان إذا رأى رسـول الله ﷺ همَـزَه ولَمَـزَه، فـأنزل الله تعـالى فيـه يتوعـده بالويـل : (ويـل لكـل همـزةٍ لمـزةٍ . الـذي جمـع مـالاً وعـدده . يحسـب أن مالـه أخلـده . كـلاّ ليُنبـذن في الحطمـة . ومـا أدراك مـا الحطمـة. نـار الله الموقـدة . الـتي تطلـع على الأفئدة . إنها عليهم مؤصدة . في عمد ممددة) (١).

 وهـذا العـاص بـن وائـل السـهمي المشـرك الصـنديد مـرّ يومـاً علـى خبـاب بـن الأرت صـاحب رسـول الله وكـان قينـاً بمكـة يعمـل السـيوف وكـان قـد بـاع مـن العـاص بـن وائـل سـيوفاً عملهـا لـه حـتى كـان لـه مـال فجـاءه يتقاضـاه فقـال لـه يـا خبـاب أليـس يـزعم محمـد صـاحبكم هـذا الـذي أنـت علـى دينـه أن في الجنـة مـا ابتغـى أهلهـا مـن ذهـب أو فضـة أو ثيـاب أو خـدم ؟ قـال خبـاب: بلـى. قـال: فـأنظرني إلى يـوم القيامـة يـا خبـاب حـتى أرجـع إلى تلـك الـدار فأقضـيك هنـاك حقـك ، فـوالله لا تكـون أنـت وصـاحبك يـا خبـاب آثـر عنـد الله مـني ولا أعظـم حظـاً في ذلـك." فـأنزل الله تعـالى فيـه يتوعـده الوعيـد الشـديد :(أفرأيـت الـذي كفـر بآياتنـا وقـال لأوتـين مـالاً وولـداً . أطلـع الغيـب أم اتخـذ عنـد الـرحمن عهـداً. كـلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً . ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً)(٢).

 وهـذا النضـر بـن الحـارث الأفـاك الأثـيم كـان إذا جلـس رسـول الله ﷺ مجلسـاً فـدعا فيـه إلى الله تعـالى وتـلا فيـه القـرآن وحـذر قريشـاً مـا أصـاب الأمـم الخاليـة خلَفَـهُ في مجلسـه إذ قـام فحـدثهم يقـصّ علـيهم أخبـار رسـتم السـنديد واسـفنديار وملـوك فـارس ثم يقـول : "والله مـا محمـد بأحسـن حـديثاً مـني ، ومـا حديثـه إلا أسـاطير الأولـين اكتتبهـا كمـا اكتتبتهـا"

---

(١) سورة الهمزة .

(٢) سورة مريم ، ٧٧ – ٨٠ .

فـأنزل الله فيـه يتوعـده بالويـل : (ويـل لكـل أفـاك أثـيم. يسـمع آيـات الله تتلـى عليـه ثم يصـر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم)[١].

 وهـذا أبي بـن خلـف الكـافر المجرم يـأتي إلى رسـول الله ﷺ وبيـده عظـمٌ بـالٌ قـد أرمَّ ، فقـال : يـا محمـد ! أنـت تـزعم أن الله يبعـث هـذا بعـد مـا أرمَّ ؟ ثم فتـه بيـده ، ثم نفخـه في الـريح نحـو رسـول الله ﷺ . فقـال رسـول الله ﷺ : (نعـم أنـا أقـول ذلـك ، يبعثـه الله وإيـاك بعـدما تكونـان هكـذا ثم يـدخلك الله النـار)فـأنزل الله تعـالى فيـه (وضـرب لنـا مـثلاً ونسـي خلقـه قـال مـن يحي العظـام وهـي رمـيم؟ قـل يحييهـا الـذي أنشـأها أول مـرة وهـو بكـل خلـق عليم...)إلى آخر السورة[٢].

 وهــذا أبــو جهــل الأحمــق أجهــل الجــاهلين صــاحب الجهــل المركــب الضــارب في أعمـاق الغبـاوة والجهالـة ، لمـا ذكـر الله عـز وجـل شـجرة الزقـوم ، قـا ل . لعنـة الله عليـه . يسـخر ويهـزأ مـن محمـدٍ ﷺ ومـن القـرآن: يـا معشـر قـريش ! هـل تـدرون مـا شـجرة الزقـوم الـتي يخـوفكم بهـا محمـد ؟ قـالوا: لا؛ قـال: عجـوة يثـرب بالزبـد ، وفي روايـة: تمـر مضـروب بالزبـد ، والله لـئن اسـتمكنا منهـا لنتزقمنهـا تزقّمـاً ثم قـال لهـم : هلـم فلنتـزقّم. فـأنزل الله تعـالى فيـه متوعـداً إيّـاه بـأنواع الوعيـد والعـذاب الشـديد يقـول فيـه (إن شـجرة الزقـوم . طعـام الأثـيم . كالمهـل يغلـي في البطـون . كغلـي الحمـيم . خـذوه فـاعتلوه في سـواء الجحـيم . ثم صـبّوا فـوق رأسه من عذاب الحميم . ذق إنك أنت العزيز الكريم)[٣].

 وهـذا أبـو لهـب لمـا واجـه رسـول الله ﷺ بالإسـاءة والإيـذاء ، وهـو يـدعو إلى ربـه لمـا جمـع النـاس يومـاً في الصـفا يقـول لهـم: (أرأيـتم لـو أخـبرتكم أن العـدو مصـبحكم أو ممسـيكم أمـا كنـتم تصـدقوني ؟) قـالوا : بلـى . قـال : (فـإني نـذيرٌ لكـم بـين يـدي عـذاب

---

(١) سورة الجاثية ، ٧ — ٨ .

(٢) سيرة ابن كثير ج٢ ص ٥٥ ، والسورة يس من ٧٨ إلى آخرها.

(٣) سورة الدخان ، ٤٣ — ٤٩ ، وانظر: سيرة ابن هشام ج٢ ص ١٠ ، وسيرة ابن كثير ج٢ ص ٥٥ .

شـديد) فقـال الملعـون أبـو لهـب:" تبـاً لـك ألهـذا دعوتنـا ؟ " فـأنزل الله فيـه وعيـده الشـديد الأكيـد (تبـت يـدا أبي لهـب وتـب . مـا أغـنى عنـه مالـه ومـا كسـب. سيصـلى نـاراً ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب . في جيدها حبلٌ من مسد) [1].

 وهـذا الوليـد بـن المغـيرة الكـافر الجاحـد المنكـر العنيـد جـاء إلى النـبي ﷺ فقـرأ عليـه القـرآن وكأنـه رقَ لـه ، فبلـغ ذلـك أبـا جهـل ، فقـال لـه: "يـاعم إنّ قومـك يريـدون أنْ يجمعـوا لـك مـالاً ليعطوكـه "فقـال : "قـد علمـت قـريش أني مـن أكثرهـا مـالاً "قـال : فقـل فيـه قـولاً يبلـغ قومـك أنـك منكرلـه وكـاره ، قـال: ومـاذا أقـول ؟ فـوالله مـا فـيكم رجـل أعلـم بالأشـعار مـني .. والله مـا يشـبه الـذي يقـول شـيئاً مـن هـذا ، والله إنّ لقولـه الـذي يقـول لحـلاوة ،وإنّ عليـه لطـلاوة ، وإنّـه لمثمـر أعـلاه ، مغـدق أسـفله ، وإنـه ليعلـوا ومـا يُعلـى" قـال:"لا يرضـى عنـك قومـك حـتى تقـول فيـه " قـال: "فـدعني حـتى أفكـر فيـه " فقـال : " هـذا سـحر يـؤثر يـأثره عـن غـيره ". فـأنزل الله تعـالى فيـه يتهـدّده ويتوّعـده يقـول : (ذرني ومـن خلقـت وحيدا...كـلا إنـه كـان لآياتنـا عنيـداً . سـأرهقه صـعوداً. إنـه فكـر وقـدر . فقتـل كيـف قـدر . ثم قتـل كيـف قـدر . ثم نظـر . ثم عـبس وبسـر . ثم أدبـر واسـتكبر . فقـال إنْ هـذا إلا سـحر يـؤثر. إنْ هـذا إلا قـول البشـر . سأصـليه سـقر . ومـا أدراك مـا سـقر . لا تبقـي ولا تـذر . لواحة للبشر . عليها تسعة عشر)[2].

وهكـذا انتصـر رب محمـد لمحمـد ﷺ ، مـا فـوّت لأعـداء رسـول الله شـيئاً ، ومـا حـاولوا أن يؤذوه بشئ إلاّ كان لهم فيه بالمرصاد[3].

الموقف الرابع : المؤاخذة العاجلة في الدنيا :

وهـذا الموقـف معـروفٌ ، إذ النـبي ﷺ حـين اشـتدّ عليـه أذى بعـض المبغضـين مـن

---

(١) سورة المسد ، وانظر : أسباب النزول للواحدي النيسابوري ، ص ٢٦١ – ٢٦٢ .

(٢) أسباب النزول للواحدي ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ ، سورة المدثر.

(٣) راجع كتابنا : إلاّ تنصروه فقد نصره الله ، ص ٣٨ – ٤٩ .

مشركي قريش ، لجأ إلى ربه يستكفيه منهم جل شأنه ، فوعده بذلك ثم لم يلبث أن صدقه وعده ، يعاجل بالأخذ الشديد لرؤوس الإساءة والعداوة ، وكبراء السخرية ، ورواد الإيذاء ، وعظماء الاستهزاء المبغضين الشانئين لسيد ولد آدم ﷺ ، فأنزل عليه قوله الصادق المحقق : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين) (1).

وعظماء المستهزئين كانوا خمسة وهم : الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب بن زمعة ، والحارث بن عيطل ، والعاص بن وائل السهمي . فاشتدّ إيذاؤهم لرسول الله ﷺ وكثر استهزاؤهم له ، فشكاهم رسول الله ﷺ إلى ربه ، فأرسل إليه جبريل عليه السلام ، فنزل إليه جبريل وهم يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه ..

ـ فمر به الوليد بن المغيرة ، فقال النبي ﷺ لجبريل : هذا منهم ، فأشار جبريل إلى أنمله وقال للنبي ﷺ : كُفيته . فمر الوليد برجل من خزاعة يريش نبلاً فتعلق سهم بإزاره فخدشه في أنمله فانتقض عليه حتى قتله .

ـ ومرّ به الأسود بن عبد يغوث الزهري فقال النبي ﷺ لجبريل : وهذا منهم . فأشار جبريل إلى رأسه قال لرسول الله: كُفيته . فخرج في رأسه قروح فامتحض قيحاً حتى قتله.

ـ ومرّ به الأسود بن المطلب فقال النبي ﷺ لجبريل : وهذا منهم . فرمى جبريل في وجهه بورقة خضراء ، وقال لرسول الله ﷺ : كُفيته . فأصيب بالعمى وصار يقول : يا بني ! ألا تدفعون عني ! قد قتلت . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً . وهو يقول : يا بني ألا تمنعون عني قد هلكت ، ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني ، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى مات.

ـ ومرّ به الحارث بن عيطل ، فقال النبي ﷺ لجبريل : وهذا منهم ، فأشار جبريل

---

(1) سورة الحجر ، ٩٤ – ٩٥ .

إلى بطنه وقال للنبي ﷺ : كُفيته . فاستسقى بطنه وأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فِيه فمات منها .

ـ ومرّ به العاص بن وائل فقال النبي ﷺ لجبريل : وهذا منهم . فأشار إلى أخمص رجله ثم قال للنبي ﷺ : كُفيته . فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به حماره على شُبرقة [شوك] فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته[1].

وهكذا كفاه ربه تبارك وتعالى وصدق وعده فأخذ المستهزئين أخذ عزيز مقتدر ، عاجلاً غير آجل ، ونالهم من العذاب المهين في الحياة الدنيا قبل الآخرة ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

فهذه بعضٌ من مواقف القرآن الناصرة لمن أُنزل على قلبه ليكون للعالمين نذيراً ، ولو أردنا أن نستقصي هذه المواقف الناصرة لاستطال البحث ، وكفى بما ذكرنا العبرة والبيان.

(١) يراجع بتوسع : السيرة النبوية لابن هشام ، ج٢ ص ٥ وما بعدها ، والسيرة النبوية لابن كثير ، ج٢ ص ٨٣ وما بعدها ، تفسير القرطبي للآية (إنا كفيناك المستهزئين).

المبحث الثاني

موقف السنة المطهرة من الإساءة للنبي ﷺ

لم يقف رسول الله ﷺ موقف انتقام لنفسه وذاته أبداً ، ولم يكن تلبسه به الطاغوتية يوماً ما حتى يؤاخذ الناس بالشبهات تجاه شخصه كما يمارس طواغيت اليوم المؤاخذة بأدنى الشُبَه فتقطع الرقاب ويُعتقل العلماء ويُسجن الدعاة .

فإنّ نبينا ﷺ في شأن نفسه وما يتعلق بحقه البشري كان عفوه أكثر من سخطه ، وصفحه أكثر من مؤاخذته ، ورحمته أوسع من غضبه ، وتجاوزه أسرع من انتقامه .

أما في حق الدعوة والدين ، وفي حق الله تعالى والمسلمين ؛ فما أشده في سخطته ، وما أسرعه في غضبته ، وما أقدره على المؤاخذة ، وما أقواه على الانتقام . لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا يخشى فيه شيئاً ، يمتثل بحرص لأوامر مولاه ، ويتعجل إلى ربه ورضاه ، ولا عجب!! فهو أول المسلمين .

لذلك ؛ فإن مواقف السنة المطهرة المتمثلة في أقوال وأفعال صاحب المقام المحمود عليه الصلاة والسلام تنوّعت بحيثيات واعتبارات معينة .

. باعتبار الحق العام الذي هو لله وللأمة ، وباعتبار الحق الخاص به ﷺ ..

. وباعتبار مصلحة الدعوة والتأليف إلى الإسلام ..

. وباعتبار إظهار سماحة الإسلام مع الأعداء ..

. وباعتبار الحكم الشرعي اللازم ..

. وباعتبار الشبهة القائمة في المسيء ..

وباستصحاب هذه الاعتبارات الخمسة نجد أن السنة المطهرة قد وقفت من المسيئين المبغضين لرسول الله ﷺ ثلاثة مواقف :

الموقف الأول : إهدار دمهم ..

والموقف الثاني : التحريض على الانتقام منهم لاستكفائه منهم.

والموقف الثالث : العفو والتجاوز عنهم .

وبيان ذلك على ما يلي :

الموقف الأول: إهدار دم المسيئين :

وهذا الموقف هو الأصل في الشرع الذي يجب أن يستمر ما دام المبغضون يسيئون إلى رسول الله ﷺ ، وهو حكم الشرع فيمن يسيء إلى جناب نبي من الأنبياء ويتأكد فيمن يسيء إلى محمد ﷺ مسلماً كان أو كافراً ، ذمياً كان أو معاهداً ، فيجب قتله وإهدار دمه .

والدليل على ذلك من وجوه عديدة ، منها :

١ـ قوله تعالى (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) [(١)]. فأمر الله تعالى بقتلهم لأجل مشاقّتهم ومحادّتهم ، فكل من حادّ وشاقّ يجب أن يُفعل به ذلك ، ولا ريب أن من يسيء إلى نبي الله ﷺ فهو محادٌ له مشاقّ .[(٢)].

٢ـ وما يؤكّد الاستدلال السابق قوله تعالى (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين . ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار

---

(١) سورة الأنفال ، ١٢ – ١٣ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ابن تيمية ، ص ٢٤ .

جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم) [1]. وذلك على ما أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان في ظل حجرة من حُجَره ، وعنده نفرٌ من المسلمين ، فقال : (إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعين شيطان ، فإذا أتاكم فلا تكلموه) فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: (علام تشتمني أنت وفلان وفلان) فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا بالله واعتذروا إليه ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات [2]. وأخرج الطبري عن قتادة أن رجلاً من المنافقين قال : والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا ، وإن كان ما يقول محمد حقاً لهم شرٌ من الحمير . فسمعها رجل من المسلمين فقال : والله إن ما يقول محمد حقٌ ، ولأنت شر من الحمار ، فسعى بها الرجل إلى نبي الله ﷺ فأرسل إلى الرجل فدعاه ، فقال : (ما حملك على الذي قلت؟) فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك ، وجعل الرجل المسلم يقول:"اللهم صدّق الصادق وكذّب الكاذب " فأنزل الله في ذلك (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) [3].

فدلّ ذلك أن الإساءة لرسول الله ﷺ وسبّه وإيذاءه محاداة لله ورسوله ، فيستحق بذلك القتل .

٣ـ ومما يدلّ على أنّ قتل المسيء لرسول الله ﷺ هو الأصل قوله تعالى (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) [4]. وهنا أمران :

الأمر الأول: أن الله تعالى أطلق العذاب عن الجهة والزمان والنوع ، فلم يقيّد بالآخرة ،كما أنه لم يقيّد الجهة الصادر منها العذاب ،كما لم يقيّد العذاب بنوع ، وبذلك يكون المعنى : لهم عذاب أليم في الدنيا وفي الآخرة ، ولهم عذاب أليم من الله ومن المؤمنين ، ولهم عذاب أليم بالتقتيل والتنكيل والكبت في الدنيا ، وفي الآخرة عذاب

---

(١) سورة التوبة ، ٦٢ – ٦٣ .

(٢) راجع : الصارم المسلول ، ص ٢١ – ٢٢ .

(٣) تفسير الطبري ، ج١١ ص ٥٤٠ .

(٤) سورة التوبة ، ٦١ .

النار . فدخل القتل للمعتدين على جناب المصطفى ﷺ .

الأمر الثاني : أن الأليم من العذاب هو ما كان أشدّ إيلاماً ، والمتصور في عذاب الدنيا الأليم - إذنْ - القتل . وهذا ما أشار إليه قوله تعالى في شأن الشانئين لرسول الله ﷺ المبتغين إيذاءه بإخراجه من أهله وبلده (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) [١].

فقوله تعالى (يعذبهم الله بأيديكم) هذا العذاب إنما يتحقق بالقتل كما نصت الآية ، وبالقتل يتحقق الخزي لأعداء رسول الله ﷺ ويتحقق النصر لأوليائه ، ولا يشفي صدور المؤمنين من المسيء لرسولهم ﷺ إلاّ أن يقتّل تقتيلاً.

فدلت الآية على أن الأصل إهدار دماء المسيئين لرسول الله ﷺ .

٤ - ومن أدلة القرآن على أن قتل المسيء للرسول ﷺ هو الأصل ؛ قوله تعالى (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر) [٢]. وهو صريح في أن الطاعن في دين المسلمين يجب قتله بأمر الله تعالى ، وأنهم أئمة الكفر ، والطاعن في الرسول ﷺ المسيء إليه طاعن في الدنيا ، إذ الطعن في رسول الله طعن في الدين ، والإساءة إلى رسول الله إساءة للدين ، فوجب قتل المسيء الطاعن في رسول الله والمؤذي له ﷺ فهذا هو حكم الله تعالى في الذين يسيئون إلى مقام النبي ﷺ ، أن يقتّلوا وتهدر دماؤهم .

وعليه فهذا الموقف النبوي بإهدار دم المسيئين المؤذين له لم يكن انتقاماً لشخصه ببشريته ولكنه انتقام لنبوته ﷺ .

ولقد نفّذ النبي ﷺ حكم الله في الذين أساؤا إلى مقامه من مبغضيه ، فأهدر دمهم . ومنهم :

---

(١) سورة التوبة ، ١٤ .

(٢) سورة التوبة ، ١٢ .

[١] من أهدر دماءهم يوم فتح مكة مع أنه جعل جميع أهل مكة في الطلقاء وقد عفا عنهم ، إلاّ هؤلاء الذين كانوا يؤذونه وهم :

❖ ابن الزِّبعرَى، وقد كان شديد الإيذاء لرسول الله ﷺ بلسانه.

❖ الحويرث بن نقيد : وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ فقتله علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

❖ مقيس بن صبابة : لإيذائه الشديد له ﷺ ، فقتله غيلة بن عبد الله رجل من قومه .. وفي النسائي : أدركه الناس في السوق فقتلوه .

❖ عبد العزى بن خطل : كان شديد الأذى لرسول الله ﷺ فأهدر دمه وأمر بقتله وإن وجد تحت أستار الكعبة ، فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي ، قتلاه وهو متعلق بأستار الكعبة.

❖ جاريتا عبد العزى بن خطل[أرنب، وأم سعد] وكانتا تغنيان بهجو رسول الله ﷺ.

❖ الحارث بن طلاطل : وقد كان يؤذي رسول الله ﷺ ، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وغير هؤلاء ممن أُهدر دمهم يوم الفتح .. (١)

[٢] وممن أهدر النبي دمهم أم ولد الأعمى ، وخبرها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه ، فينهاها فلا تنتهي ، ويزجرها فلا تنْزجر ، فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه،

---

(١) راجع كل هذه الأحداث في : فتح الباري : ج٨ ص ١١- ١٢ . سنن النسائي بشرح السيوطي: ج٧ ص ١٠٥ . ١٠٦ كتاب تحريم الدم / باب الحكم في المرتد . سيرة ابن هشام : ج٤ ص ٢٧ . ٣٠ . السيرة النبوية الصحيحة د. أكرم ضياء العمري: ج٢ ص ٤٧٩ . ٤٨٠ . السنن الكبرى للبيهقي : ج٩ ص ١٢١ . الرحيق المختوم : ص ٣٧٣ . ٣٧٤ .

فأخذ المعول فجعله في بطنها واتكأ عليه فقتلها، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجمع الناس فقال : (أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام .) فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي ، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، وكانت بي رفيقة ، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المعول فوضعته في بطنها ، واتكأت عليه حتى قتلتها . فقال النبي ﷺ : (ألا اشهدوا أن دمها هدر) .(١)

فأشهد النبي ﷺ على إهدار دمها.

[٣] ـ أخت عمير بن أمية رضي الله عنه ، إذ كانت له أخت ، فكان إذا خرج إلى النبي ﷺ آذته فيه وشتمت النبي ﷺ ، وكانت مشركة ، فاشتمل لها يوماً على السيف ثم أتاها فوضعه عليها فقتلها ، فقام بنوها فصاحوا وقالوا : قد علمنا من قتلها ، أفتقتل أمنا وهؤلاء قوم لهم آباء وأمهات مشركون ؟ فلما خاف عمير أن يقتلوا غير قاتلها ، ذهب إلى النبي ﷺ فأخبره فقال له: أقتلت أختك؟. قال : نعم. قال: ولم؟ قال : إنها كانت تؤذيني فيك ، فأرسل النبي ﷺ إلى بنيها فسألهم ، فسموا غير قاتلها ، فأخبرهم النبي ﷺ وأهدر دمها.(٢)

الموقف الثاني: التحريض على الانتقام له واستكفائه منهم:

لقد كان إهدار دم المسيء للنبي ﷺ موقفاً يتخذه الرسول عليه الصلاة والسلام عندما يبادر أحد المسلمين من غير أمر منه ﷺ فيقتل المسيء لمقام نبيه ﷺ ، فيهدر دم

---

(١) أبو داود : كتاب الحدود / باب الحكم فيمن سبّ النبي ص : ج٤ ص ١٢٩ برقم [٤٣٦١] . والنسائي : تحريم الدم / باب الحكم فيمن سبّ رسول اللهص : ج٧ ص ١٠٨ . وسنن الدارقطني : كتاب الأقضية والأحكام / باب في المرأة التي تقتل إذا ارتدت : ج٤ ص ٢١٦ . واحتج به أحمد كما في نيل الأوطار : ج٧ ص ١٩٩ . وقال الحافظ في بلوغ المرام (ج٣ ص ٣٥١) بسبل السلام : رواته ثقات .

(٢) قال في مجمع الزوائد (ج٦ ص ٢٦٠): رواه الطبراني عن تابعيين ، أحدهما ثقة وبقية رجاله ثقات .

المسيء ويبطل المطالبة بدمه ، ويحكم عليه أن دمه غير معصوم ، على أنه ﷺ أحياناً يهدر دم المسيء إليه قبل المبادرة إليه . كما رأينا فيمن أهدر دمهم يوم فتح مكة .

أمّا هذا الموقف فقد كان يتخذه المصطفى ﷺ عندما يكثر أذى المسيء المبغض له عليه الصلاة والسلام قبل أن يبادر أحد بقتله ، استكفاءً للرسول من بغيه وبغضه ، واستئصالاً لشره وانتقاماً لمقامه ونبوته ﷺ .

ومن المسيئين الذين حرّض النبي ﷺ على قتلهم واستكفائه منهم:

١. كعب بن الأشرف :

وكان قد عاهد النبي ﷺ أنْ لا يعين عليه وألا يقاتله ، فذهب إلى مكة بعد واقعة بدر ليعزي أهل مكة في قتلاهم فصار يرثي أئمة الكفر الذين قُتلوا في بدر ، ويطعن في دين الإسلام ويسيء إلى المسلمين ويقول للمشركين من أهل مكة : أنتم أهدى منهم سبيلاً ، حتى أنزل الله فيه قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾ [١]وفي الآية إشارة واضحة على إهدار دمه والحض على قتله ، إذ لعنه الله ولعن امرئ وهو لا يزال حياً حكم عليه بالإعدام إذ يعدم نفع حياته ، فعُلم أنه مطلوب للموت .

وفوق ذلك صار يحرّض المشركين على محاربة رسول الله ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ ، كما جعل يشبب بنساء المسلمين الطاهرات العفيفات رضي الله عنهن فجعل يشبب بأم الفضل بن الحارث لما عاد من مكة وكان أول ما خزع خزع[٢] عنه قوله:

أذاهبٌ أنت لم تحلل بمرقبة

---

(١) سورة النساء ،

(٢) خزع أي قطع عهده .

وتارك أنت أم الفضل بالحرم ؟

فعاد يعلن معاداته للنبي ﷺ ، وجعل يؤذيه النبيﷺ أذىً شديداً يهجوه بشعره ،، وقد غدر .كعادة اليهود .عهده لرسول الله . فقال النبي ﷺ : (مَنْ لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله) فقام محمد بن مسلمة .وهو أخوه .فقال : أنا يا رسول الله ! أتحب أن أقتله؟ قال : نعم .) فذهب محمد بن مسلمة وأبو نائلة وهو أخوه من الرضاعة ، ومعهما عبس بن حبر وعباد بن بشر فقتلوه.(١).

[٢] أبو رافع بن أبي الحُقيق اليهودي :

كان يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه ، فبعث النبي ﷺ إليه رجالاً من الأنصار وأمّر عليهم عبد الله بن عَتِيك ، فدخل عليه ابن عتيك ليلاً حتى قتله فلما رجع وقع فانكسرت ساقه ، فانتهى إلى النبي ﷺ فأخبره بقتل أبي رافع ، فقال له النبي ﷺ : (أبسط رجلك) فمسحها فكأنما لم يشتكها قط رضي الله تعالى عنه (٢).

[٣] العصماء بنت مروان الخطمية:

وكانت تهجو رسول الله وتؤذيه وتعيب الإسلام وتحرض على عداوة النبي ﷺ ، ومما قالت:

فباسْتِ بني مالك والنبيت

وعوف وباسْتِ بني الخزرج

أطعتم أتاوي من غيركم

فلا من مراد ولا مذحج

---

(١) الخبر بكامله في الصحيحين وراجع قصته برواياتها في : السيرة النبوية لابن كثير ، ج٣ ص ٩ وما بعدها ، والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص ٧ وما بعدها ، والصارم المسلول لابن تيمية ، ص ٧٠ وما بعدها .

(٢) القصة في البخاري وغيره ، وراجع الصارم المسلول ، ص ١٥١ – ١٥٣ .

تُرجُّونه بعد قتل الرؤوس

كما ترتجى مرقُ المنضِجِ

فقال عمير بن عدي الخطمي حين بلغه قولها وتحريضها : " اللهم إنّ عليّ نذراً لئن رددت رسول الله ﷺ إلى المدينة لأقتلنها ، فلما رجع النبي ﷺ من بدر جاء عمير بن عدي إلى بيتها فدخل عليها وحولها نفرٌ من ولدها نيام فوضع السيف على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، ثم خرج حتى صلى الصبح مع النبي ﷺ ، فلما انصرف النبي ﷺ نظر إلى عمير فقال : " أقتلت بنت مروان ؟ قال : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله . وخشي عمير أن يكون افتأت على رسول الله ﷺ بقتلها فقال : هل عليّ في ذلك شئ يا رسول الله ؟ قال : (لا ينتطح فيها عنزان) فالتفت النبي ﷺ إلى من حوله فقال : (إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي).

فمدحه حسان بن ثابت رضي الله عنه :

بني وائل وبني واقف

وخطمة دون بني الخزرج

متى ما ادعت أختكم ويحها

بعولتها والمنايا تجي

فهزت فتى ماجداً عرقُهُ

كريم المداخل والمخرج

فضرّجها من نجيع الدماء

قبيل الصباح ولم تخرج

فأورده الله برد الجِنان

جَذْلان في نعمة المولِج[1].

الموقف الثالث: العفو والتجاوز عن المسيء :

والعفو من النبي ﷺ .كما قررنا من قبل . هو الغالب في شأن نفسه وحقه الشخصي ، ولذلك كان من مواقفه ﷺ مع المسيئين له أن يعفو عنهم ويتجاوز عن خطيئتهم وإساءتهم ، فلا يؤاخذهم بما اقترفوا .

غير أن عفوه وتجاوزه عن هؤلاء المسيئين المبغضين له مع أنه من باب الرحمة ، وهو الرحمة المهداة للعالمين ، لم يكن إلاّ لتحقيق مقاصد شرعية ودعوية عظيمة ، ولاعتبارات ذُكرت في بداية هذا المبحث ومنها:

. اعتبار الحق الخاص به ﷺ ..

. أو اعتبار مصلحة الدعوة والتأليف إلى الإسلام ..

. أو اعتبار إظهار سماحة الإسلام مع الأعداء ..

. أو اعتبار الشبهة القائمة في المسيء أو في الإساءة ..

أما الاعتبار الأول وهو أن يعفو عمن أساء إليه ﷺ باعتبار أنه حق خاص له ؛ فهذا لم يكن كثيراً ، حتى لو كان ذلك حقه ، فإنما كان عفوه وصفحه في الغالب لمصلحة التأليف وجمع الكلمة ، ولئلا يُنفر الناس عنه ، وغير ذلك من المقاصد الدعوية والمرامي الشرعية السامية عليه أفضل الصلاة والسلام [2].

أسباب عفو النبي ﷺ للمسيئين:

ولذلك كان عفوه وتجاوزه عن المسيئين في الغالب لأسباب واعتبارات متعددة ، ومنها:

---

(١) الصارم المسلول ، ص ٩٥ –٩٧ .

(٢) انظر : زاد المعاد لابن القيم ج٥ ص ٥٠ .

[١] لأنه أمر الله تعالى :

فالله تعالى أمر نبيه في أول الأمر بالعفو والصفح عمن يسيء إليه ، وذلك لغلبة الجهل بحقيقته وعدم تصوّر الجاهليين بكونه مرسلاً من ربه ، وعدم قدرتهم على تقديره حق قدره ومقامه ، فكانت مواقف كثيرة منه صلى الله عليه وسلم امتثالاً لأمر ربه تبارك وتعالى ، ونزولاً لحكمه وتوجيهه جل شأنه. وذلك في آيات كثيرة منها :

قوله تعالى { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾الحجر٨٥

وقوله سبحانه: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾الزخرف٨٩

وقوله عز وجل : {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾الأعراف١٩٩.

ثم الآيات التي وُجّهت للأمة تطلب إليهم العفو والصفح عن الأقوام الظالمين المسيئين لمقام رب العالمين ورسول رب العالمين ودين الله الإسلام ، كما في قوله تعالى في شأن أهل الكتاب الحاسدين للأمة:{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾البقرة١٠٩

وفي شأن الأمة القائمة بالخير لخيريتهاإظهاراً وإخفاءً يقول تعالى: {إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً ﴾النساء١٤٩

ويقول أيضاً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾التغابن١٤

كما قال لهم للخروج من آثار حادثة الإفك: {وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾النور٢٢.

فكل هذه الآيات أوامر إلهية وإرشادات ربانية وتوجيهات سماوية للنبي صلى الله

عليه وسلم ولأمته ، وما أُرشد به الأمة فالرسول صلى الله عليه وسلم أولى به منهم وهو أول المسلمين.

لذلك جاء من المصطفى الحبيب موقف العفو والصفح عن المسيئين في سنين الدعوة الأولى .

٢- لقيام شبهة في المسيء أو في الإساءة :

فالرسول ﷺ لم يكن حريصاً أبداً لمؤاخذة الناس بالشبهات ، كما يفعل كثير من المتمكنين من الناس ، بل كان يدرء الكثير من الأخطاء والخطيئات وأفاعيل السوء والحدود والمنكرات بالشبهة إذا قامت ، وكان ذلك من مقتضى الرحمة التي بعث بها وبعث لأجلها عليه الصلاة والسلام.

فلو أساء إليه امرئ ثم وجد للعفو سبيلاً وللتجاوز عنه طريقاً ما توانى عليه السلام عن العفو والصفح :

ـ فهذا ذو الخويصرة التميمي حين كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقْسِمُ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ بِالْجِعْرَانَةِ ، وَالتِّبْرُ فِى حَجْرِ بِلاَلٍ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ . قَالَ :« وَيْحَكَ ، فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ ». فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضى الله عنه فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِى أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- :« دَعْهُ فَإِنَّ هَذَا مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ - أَوْ فِى أَصْحَابٍ لَهُ - يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ »[1].

كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري . قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً ، أتاه ذو الخويصرة التميمي فقال : يا رسول الله ! أعدل . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ! ائذن لي فيه أضرب عنقه ، فقال رسول الله : (دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن .....)

(١) مسند الحميدي ، ج٣ ص ٩٩ ، ١٣٢٥ .

الحديث[١].

وفي رواية للبخاري ومسلم (قال خالد بن الوليد : يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟) قال (لا ، لعله أن يكون يصلي) فقال خالد : وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه) فقال النبي ﷺ : (إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم)[٢].

وهنا أكثر من شبهة تدرأ عنه القتل :

أولها : أنه أمره أن يعدل ، وهذا ظاهره أمر بالمعروف .

ثانيها : أنه ﷺ وصفه هو وأصحابه بالالتزام بالعبادة والذكر والطاعة على أحسن ما يكون المسلم فقال :(إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن ..) فلا يؤاخذ مثل هذا بضرب الأعناق أو إهدار الدماء

ثالثها : أن الظاهر ينفي عنه القتل وأن النبي ﷺ غير مأمور بتنقيب قلوب الناس حتى يثبت طعنهم فيه أو إساءتهم له .[٣].

ـ وهذا معتب بن قشير من المعدودين في المنافقين ، لما قسم النبي ﷺ يوم حنين الغنائم فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وعيينة بن حصن مثل ذلك ، وأعطى ناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة ، فقال رجل : " والله إن هذه لقسمة ما عُدل فيها ، أو ما أريد بها وجه الله ، فقال عبد الله بن مسعود :" والله لأخبرن رسول الله ﷺ " قال : فأتيته فأخبرته بما قال ، فتغيّر وجهه ﷺ حتى كان كالصِّرْف[٤] ، ثم قال

---

(١) متفق عليه : البخاري : كتاب استتابة المرتدين / باب من ترك قتال الخوارج للتأليف ولئلا ينفر الناس عنه : ج١٢ ص ٢٩٠ مع الفتح برقم [٦٩٣٣] .. ومسلم : كتاب الزكاة / باب ذكر الخوارج وصفاتهم : ج٧ ص ١٦٥ . ١٦٦ بشرح النووي ، برقم [٢٤٥٣ . ١٤٨]

(٢) البخاري برقم ٤٠٩٤ ، ومسلم باب ذكر الخوارج برقم ١٠٦٤ .

(٣) راجع بتفصيل بحثنا : المرتد : الحكم الأصل ودفع شبهات ص ٣٢ ، مخطوط .

(٤) الصرف بكسر الصاد ، صبغ أحمر .

: (فمـن يعـدل إذا لم يعـدل الله ورسـوله ، ثم قـال : (يـرحم الله موسـى ، قـد أوذي بـأكثر من هذا فصبر)[1].

فهـذا القـول وإنْ كـان في نفسـه إسـاءة إلى النـبي ﷺ إلا أن الشـبهة قائمـة في نقلـه ، ولا شـك أن عبـد الله بـن مسعود رضـي الله عنـه مـن أوثـق النـاس نقـلاً للأخبـار لنـبي الله ﷺ ، ولكنـه مهمـا يكـن ثقـة ، فخـبره خـبر واحـد ، ولا ينبغـي أن يُقتـل أحـد بشـهادة فـرد واحـد ، فكـان ذلـك شـبهة في رد الحـد عـن هـذا المنـافق ، مـع أن النـبي ﷺ قـد صـدّق ابـن مسـعود رضـي الله عنـه لأنـه قـال حـين أخـبره مقالـة المنـافق : (فمـن يعـدل إذا لم يعـدل الله ورسـوله) ، وبمقتضـى رحمتـه ﷺ لم يراجـع القائـل ولم يسـعَ في إثبـات القـول عليـه ، وإنمـا اكتفـى باستنكار ما قال ، وتجاوز عن القائل.

٣ ـ العفو والتجاوز لمصلحة الدعوة والتأليف إلى الإسلام :

فـالنبي ﷺ كـان مـن أسـباب عفـوه وتجـاوزه عـن المسـيئين لمـا في العفـو والتجـاوز مـن مصلحة الدعوة ، وبالنظر إلى إمكان تأليف الناس إلى دين الإسلام .

ومـن ذلـك : موقفـه ﷺ مـن عبـد الله بـن أبي بـن سـلول رأس النفـاق ، حيـث إنـه كـان يسـتحق أن يُقتـل ، وجـاء ولـده عبـد الله رضـي الله عنـه يعـرض نفسـه علـى رسـول الله ﷺ بقتـل أبيـه الـذي أسـاء إلى رسـول الله بمقولـة الشـين (لـئن رجعنـا إلى المدينـة ليخـرجن الأعـز منهـا الأذل) يقصـد بـالأعز نفسـه الخسيسـة ، وبـالأذل مقـام رسـول الله العزيـز عليـه الصـلاة والسلام.

ففيمـا يرويـه جـابرٌ رضـي الله عنـه يقـول: غزونـا مـع النـبي ﷺ وقـد ثـاب معـه نـاس مـن المهـاجرين حـتى كثـروا وكـان مـن المهـاجرين رجـل لعـاب فكسـع[2] أنصـارياً ، فغضـب الأنصـاري غضـباً شـديداً حـتى تـداعوا وقـال الأنصـاري: "يـا للأنصـار" وقـال المهـاجري : "يـا

---

(١) البخاري برقم ٣١٥٣ .ومسلم برقم ١٧٥٩ .

(٢) كسع بمعنى ضرب، أو ضرب دبره بيده ، أو منع . القاموس المحيط ، ص ٩٨٠ .

للمهاجرين " فخرج النبي ﷺ فقال: (ما بال دعوى أهل الجاهلية) ثم قال: (ما شأنهم؟) فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري ، فقال النبي ﷺ : (دعوها فإنها خبيثة) وقال عبد الله بن أبي بن سلول : "أقد تداعوا علينا ؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" فقال عمر :" ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث ؟ . لعبد الله . فقال النبي ﷺ : (لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه)[1].

وأخرج الطبراني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال : " إني لآخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ أقوده ، وعمار يسوق به إذ استقبلنا اثنا عشر رجلاً متلثمين، قال : (هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة) قلنا: يا رسول الله ! الا تبعث إلى كل رجل منهم فتقتله ؟ فقال : (أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، وعسى الله أن يكفيهم بالدبيلة. قلنا: وما الدبيلة قال: (شهاب من نار يوضع على نياط قلب أحدهم فيقتله)[2].

ففي الموضعين عفا النبي ﷺ عن هؤلاء المسيئين معللاً بمصلحة الدعوة والتأليف لدين الإسلام ، " لأن الناس ينظرون إلى ظاهر الأمر ، فيرون واحداً من أصحابه قد قُتل ، فيظن الظان أنه يقتل بعض أصحابه على غرض أو حقد أو نحو ذؤلك ، فينفر الناس عن الدخول في الإسلام ، وإذا كان من شريعته أن يتألّف الناس على الإسلام بالأموال العظيمة ليقوم دين الله ويعلو كلمته ؛ فلأن يتألّفهم بالعفو أولَى وأحرَى"[3].

٤ . العفو والتجاوز لإضمار الإساءة :

فالنبي ﷺ بما أن ربه تبارك وتعالى قد مدحه فألبسه صفة الرأفة والرحمة ؛ فإن من مقتضيات هاتين الصفتين . الرأفة والرحمة . أن يتجاوز عن المسيئين إليه بأقل الأسباب ﷺ ، ولذلك حين يجد سبيلاً إلى العفو بتأويل أخذ به ، أو طريقاً إلى العفو بشبهة ما تردد

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٣٣٣٠ .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ، ج٨ ص ١٠٢ ، برقم ٨١٠٠ .

(٣) ابن تيمة في الصارم المسلول ، ص ٢٣٧ .

في اعتباره ليعفو عنهم .

فكان من أسباب عفوه وتجاوزه ﷺ أن تكون الإساءة غير صريحة أو غير معلنة ، أو تكون محتملة الإساءة إليه ﷺ وعدمها ، فعند ذاك يعفو رسول الله ﷺ .

ومن ذلك : موقفه من اليهود الذين كانوا إذا أرادوا أن يسلّموا عليه قالوا : " السام عليكم " فقد مرّ يهودي برسول الله ﷺ فقال : " السام عليك" فقال النبي ﷺ : (وعليك) فقال رسول الله ﷺ : (أتدرون ما يقول ؟) قالوا : لا . قال : (يقول : السام عليك) قالوا: يا رسول الله ألا نقتله ؟ قال : لا ، إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم) [(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا : السام عليك ، قالت عائشة : ففهمتها ، فقلت : عليكم السام واللعنة ، فقال رسول الله ﷺ : (مهلاً يا عائشة ! إن الله يحب الرفق في الأمر كله) فقالت عائشة : يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا ؟ فقال ﷺ : (قد قلتُ : وعليكم) [(٢)].وفي رواية لجابر رضي الله عنه أن عائشة قالت: (ألم تسمع ما قالوا ؟ قال : (بلى قد سمعت فرددت عليهم ، وإنا نجاب ولا يجابون علينا) [(٣)].

فهنا لم يؤاخذهم الله بما أضمروه من الإساءة للنبي ﷺ ولم يصرحوا به . والشرع لا يؤاخذ الناس بما يضمرون ، وما لكم يكن صريحاً فلا يصلح أن يكون بينة يُبنى عليها حكم ومثل القتل .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في ذلك : " فهذا دليل على أن النبي ﷺ لم يكن يَظهر له أنه سبٌّ ، ولذلك نهى عائشة عن التصريح بشتمهم، وأمرها بالرفق بأن تردّ

---

(١) أخرجه البخاري عن أن س بن مالك .

(٢) أخرجه البخاري باب الرفق في الأمر كله ، برقم ٥٦٧٨ ، ومسلم باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، برقم ٢١٦٥.

(٣) أخرجه مسلم باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، برقم ٢١٦٦ .

عليهم تحيتهم ، فإن كانوا قد حيوا تحية سيئة استجيب لنا فيهم ، ولم يستجب لهم فينا ، ولو كان ذلك من باب سبّهم النبي ﷺ والمسلمين الذي هو السبّ لكان فيه العقوبة ولو بالتعزير والكلام .

فلما لم يشرع . والكلام لا يزال لابن تيمية . رسول الله ﷺ في مثل هذه التحية تعزيراً ، ونهى من أغلظ عليهم لأجلها ، علم أن ذلك ليس من السبّ الظاهر ، لكونهم أخفوه كما يخفي المنافقون نفاقهم ، ويعرفون في لحن القول ، فلا يعاقبون بمثل ذلك " اهـ .(1)

قلت : ولو كانت المؤاخذة بمثل هذا ؛ لآخذ الله تعالى اليهود الذين كانوا يقصدون الإساءة للنبي ﷺ بقولهم راعنا ، ولكن الشرع اكتفى في ذلك بالنهي عنه للمؤمنين ، فكف بذلك اليهود عن إيذاء النبي ﷺ به حين نُهي المؤمنون عنه وذلك في قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ﴾(2). وقولهم [راعنا] يتضمن الطعن والاستهزاء كما في قوله تعالى ({مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ ﴾النساء٤٦ قال قتادة وغيره : " كانت اليهود تقول للنبي ﷺ : راعنا سمعك ، يستهزئون بذلك وكانت في اليهود قبيحة" ، وقال عطية : " كانت كلمة لليهود بمعنى السبّ والسخرية (3).

ومع ذلك لم يثبت أن آخذهم رسول الله ﷺ فثبت أن إضمار الإساءة وعدم التصريح بها من دواعي العفو والتجاوز.

وفوق ما ذكرنا فإن ما كان من اليهود بقصد الإساءة للنبي ﷺ كان في الإمكان رده بمثله ، ولذلك قال النبي ﷺ : (قد قلت: وعليكم) .. وفي رواية : (بلى قد

---

(1) الصارم المسلول ، لابن تيمية، ص ٢٢٥ .

(2) سورة البقرة ، ١٠٤ .

(3) راجع : تفسير الطبري ، ج٢ ص ٣٨٠ – ٣٨١ ، الصارم المسلول ، ص ٢٣٨ .

سمعت فردد عليهم ، وإنا نجاب ولا يجابون علينا) .

وعليه:

@ فكل ما كان ليس صريحاً من الإساءة فلا مؤاخذة فيه ..

@ كل ما كان في الإمكان ردّه بمثله أو بما هو أوجع على المسيئين يجب أن يردّ بمثله أو بما هو أوجع من غير مؤاخذة أو مقاتلة .

٤. العفو والتجاوز إذا كانت الإساءة لم تخرج عن معتاد الأعداء:

فكل الكافرين لمخالفتهم رسول الله ﷺ ومعاداتهم له ما وجدوا فرصة إلاّ طعنوا في دينه وقللوا من شأنه ، ولذلك إذا كانت الإساءة الصادرة من أحدهم من قبيل المعتاد الذي يفعله كل واحد منهم ؛ قبل الرسول ﷺ في مثله الاعتذار واستجاب إلى العفو عنه.

ومن هذا الباب عفوه عن كعب بن زهير رضي الله عنه ، بعدما وصف دينه وصفاً كانت قريش تصفه به ، ووصف النبي ﷺ بوصف كانت قريش أيضاً تصفه به ، وذلك حين هاجر أخوه بجير إلى رسول الله ﷺ وأسلم ، فقال :

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة

فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

فبين لنا إن كنت لست بفاعل

على أي شيء غير ذلك دلكا

على خلق لم تلف أماً ولا أباً

عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا

فإن أنت لم تفعل فلست بآسف

ولا قائل إما عثرت لعالكا

سقاك بها المأمون كأسا روية

فأنهلك المأمون منها وعلكا

وبعث بها إلى بجير ، فلمّا أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها ، فقال رسول الله ﷺ : سقاك المأمون صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون ، ولما سمع : على خلق لم تلف أمّاً ولا أباً عليه فقال : أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه . ثم قال بجير لكعب:

من مبلغ كعباً فهل لك في التي

تلوم عليها باطلاً وهي أحزم

إلى الله لا العزى ولا اللات وحده

فتنجوا إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت

من الناس إلا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شيء دينه

ودين أبي سلمى على محرم

وكتب إلى أخيه كعب يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وأنه من بقي من شعراء قريش ابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطِرْ إلى رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانج بنفسك إلى نجائك".

فلما بلغ كعباً الكتابُ ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره من عدوه فقال هو مقتول ، فلما لم يجد من شيء بداً، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ وذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فقام إلى رسول الله ﷺ حتى جلس إليه فوضع يده في يده وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم . قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير . فوثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله! دعني وعدو الله أضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : (دعه عنك فقد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه) لفقال كعب قصيدته اللامية المشهورة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

يسعى الغواة جنابيها وقولهم

إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

وقال كل صديق كنت آمله

لا ألهينك إني عنك مشغول

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوماً على آلة حدباء محمول

إن الرسول لنورٌ يستضاء به

مهنّدٌ من سيوف الله مسلول

نُبِّئت أن رسول الله أوعدني

والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال

قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم

أذنب ولو كثرت فِيّ الأوقايل

وقد ورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ أعطاه بردته حين أنشده قصيدته رضاً بها(1).

وليس في كلام كعب إيذاءً بيناً لرسول الله ﷺ ، وإنما وصف رسول الله ﷺ بما كانت تصفه به قريش [المأمون] وهو في الحقيقة مدح صدقه عليه النبي ﷺ، ووصف دينه بما كانت تصفه المشركون :

على أي شيء غير ذلك دلكا

على خلق لم تلف أماً ولا أباً

عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا

وعليه قبل النبي ﷺ توبته وقد مدح بأحسن ما يكون المدح رسول الله ودينه ، وكان مدحه أعظم وأقوى من ذمه .

٥ . العفو والتجاوز إنْ أنكر من نُقلت عنه الإساءة :

وهذا سببٌ مهمٌ ، لأنّه قد يُدَّعى على أحدٍ . من بعض مخالفيه أو المغرضين أو غيرهم . فيُهدر دمه ثم يبادر من اتهم بالإساءة أو نُقلت عنه الإساءة بالإنكار أنه لم يقل شيئاً أو لم يسء إلى رسول الله بشئ مما نُقل عنه ، فيعفو عنه النبي ﷺ .

ومن ذلك : موقفه من أنس بن زُنيم الديلي . حيث بلغ رسول الله ﷺ أنّه هجاه

---

(١) انظر : السيرة النبوية ، لابن كثير ، ج٣ ص ٧٠٣ . ٧٠٨ ، زاد المعاد لابن القيم ، ج٣ ص ٥٢١ ت ٥٢٣ ، المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٣ ص ٦٧٤ ت ٦٧٥ .

حين جاءه عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً يستنصرون رسول الله ﷺ على قريش وأنشده :

لاهم إني ناشد محمدا

عهد أبينا وأبيه الاتلدا

ثم قال : يا رسول الله !إن أنس بن زنيم هجاك . فأهدر رسول الله ﷺ دمه ، فبلغه ذلك فقدم عليه يوم الفتح معتذراً وأنشده أبياتٍ مدحه بها وكلّمه فيه نوفل بن معاوية الديلى فعفا عنه ، وكان مما قال في قصيدته:

فما حملت من ناقة فوق رحلها

أبر وأوفى ذمة من محمد

ونبيء رسول الله أن قد هجوته

فلا رفعت سوطي إليّ إذاً يدي

فإني لا عرضاً خرقت ولا دماً

هرقت ففكّر عالم الحق واقصد

سوى أنني قد قلت يا ويح فتية

أصيبوا بنحس يوم طلق وأسعد

تعلّم رسول الله أنك مدركي

وأن وعيداً منك كالأخذ باليد

تعلّم ر سول الله أنك قادر

على كل سكن من تهام ومُنجد

وتعلم أن الركب ركب عويمر

هم الكاذبون المخلفو كل موعد

فقال نوفل : "أنت أولى بالعفو ومن منا لم يؤذك ولم يعادك وكنا في الجاهلية لا ندري ما نأخذ وما ندع حتى هدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة ، وقد كذب عليه الركب وأكثروا عندك" فقال : (دع الركب عنك ، فإنا لم نجد بتهامة أحداً من ذي رحم قريب ولا بعيد كان أبرّ من خزاعة) فأسكت نوفل بن معاوية الديلي ، فلما سكت قال رسول الله ﷺ: (قد عفوت عنه) فقال نوفل : " فداك أبي وأمي وأنس بن زُنيم "[1].

فأنس بن زنيم أنكر أنه هجا رسول الله ﷺ ، وشهد له بذلك نوفل بن معاوية الذي شفع له لدى رسول الله ، أنكر أنس بن زنيم أنه هجا المصطفى ﷺ مؤكداً نفي ذلك بالدعاء على نفسه:

ونبئ رسول الله أنْ قد هجوته

فلا رفعت سوطي إليّ إذاً يدي

فعفا عنه النبي ﷺ بذلك .

٦ ـ العفو والتجاوز لخفة الإساءة أو لشفاعة المسلم :

فالرسول ﷺ كان من أسباب عفوه وتجاوزه عن المسيئين إليه أيضاً أن تكون الإساءة خفيفة لا تنال الدين بسوء بكبير أو كثير ، وفي نفس الوقت تأتي الشفاعة الطالبة بالعفو عن المسيء من مسلم مقرّب أو شفيع محبوب ، لئلا يخفر ذمة المسلمين ، وقد قرر المصطفى ﷺ أن المسلمين تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم[2].

ولهذا السبب عفا النبي ﷺ عن عبد الله بن أبي السرح ، وقد كان ابن أبي السرح أسلم وكان من كتّاب الوحي ، فرجع مشركاً ولحق بمكة ، ثم صار يقول : " إني لأصرفه

(١) انظر : تاريخ مدينة دمشق ، ج٢٠ ص ٢٣ وما بعدها ، الوافي بالوفيات ، ج٩ ص ٢٣٨ ، الصارم المسلول لابن تيمية ، صى ١٠٥ ـ ١٠٧ .

(٢) أخرجه أبو داود ،باب في السرية ترد على أهل العسكر ، برقم ٢٧٥١ ج٣ ص ٨٠ .

كيف شئت إنه ليأمرني أن أكتب له الشئ فأقول له : أو كذا وكذا ، فيقول : نعم ، ثم صار يقول : " إني لأكتب ما شئت ، هذا الذي كتبت يوحى إليّ كما يوحى إلى محمد ، وإن محمداً إذا كان يتعلم مني فإني سأنزل مثل ما أنزل الله " فنزل فيه قول الله تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ ﴾[1].

فكن ممن أهدر النبي ﷺ دمه ، فجاء به عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أخوه من الرضاعة إلى النبي ﷺ سيتشفع له عنده يقول لرسول الله " يا رسول الله بايع عبد الله ، فنظر رسول الله إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال : (أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟) فقالوا : ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألا أومأت إلينا بعينك؟ فقال (إنه لاينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين) [2].

فسبب العفو اجتماع ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن إيذاءه وإساءته كانت خفيفة من حيث تأثير ذلك على الدعوة والقرآن، لأن الشبهة التي أدخلها في القرآن أبطلها الله تعالى بالتحدي للعالمين خاصة العرب وقد عجزوا عن مجاراة القرآن ومعارضته مع بلوغهم من الفصاحة مبلغها .

الأمر الثاني : أن الإساءة في الحقيقة كانت موجهة لنفسه هو، لا للنبي ﷺ ، لأنه هو الذي كان يحرّف فيما يكتبه من الوحي ، ويسعى للتضليل لإقناع نفسه الشيطانية آنذاك أنه يمكن أن يوحى إليه طالما أمكنه إدخال ما يشاء وصرف ما يشاء ، وهذا فيه من الإساءة أنه خان الأمانة ، ولعب به الشيطان ، وإنْ كان يتضمن الإساءة للنبي ﷺ والتشكيك في الوحي.

---

(١) سورة الأنعام ، ٩٣ .

(٢) سنن أبي داود ، ج٣ ص ٥٩ برقم ٢٦٨٣ ، مسند البزار ، ج٣ ص ٣٥١ ، المستدرك على الصحيحين ، ج٣ ص ٤٧ برقم ٤٣٦٠، الصارم المسلول ، ص ١٠٩ وما بعدها .

الأمر الثالث: شفاعة عثمان رضي الله عنه ، ولو كان إيذاؤه لرسول الله ﷺ شديداً لما أقدم عثمان يشفع له عبد رسول الله ﷺ ، ولو كانت إساءته كبيرة لما قبل النبي ﷺ شفاعة عثمان له ، إذ كان النبي ﷺ لا يقبل شفاعة أحدٍ مهما كان مقرباً أو محبوباً لديه في حدّ ، كما أنكر على أسامة من قبل يوم الفتح شفاعته في حدود الله يقول له : (أتشفع في حد من حدود الله ؟) .

فثبت أن إساءة عبد الله بن أبي السرح كانت خفيفة ، وكانت أدلّ على خسته أو خيانته للأمانة أكثر من الإشارة إلى الإساءة للنبي ﷺ ، ولذلك عفا عنه النبي عليه الصلاة والسلام .

المبحث الثالث

موقف المسلمين من الإساءة للنبي ﷺ

لقد وجدنا أن من سنة النبي ﷺ العفو أحياناً عن المسيئين، وكان ذلك لأسباب واعتبارات ، غير أن موقف الأمة من الإساءة للنبي ﷺ لا يتخذ في الغالب إلاّ حالة واحدة، هي: المسارعة إلى الانتقام لجناب المصطفى ﷺ ونفي الإساءة والمسيئين حفاظاً على مقام النبوة من النيل والطعن والسبّ والانتقاص.

هذا ما يظهر للدارس في أول وهلة، ولكن استقراء مواقف الأمة من حوادث الإساءة الواقعة عبر التاريخ يجعل المواقف التي يجب أن تتخذه الأمة أفراداً أو جماعة تتشكّل بحسب الحال، فهناك مواقف يجب اتخاذها قبل وقوع الإساءة، ومواقف يجب أن تكون عند وقوع الإساءة، ومواقف يجب أن تكون بعد وقوع الإساءة ، ومواقف بأحوال أخرى . ولذلك نرجو أن نقف مع هذه المواقف الواجبة على المسلمين والمتعددة بتلك الأحوال فيما يلي:

[١] موقف المسلمين قبل وقوع الإساءة :

ليس الموقف المناسب للمسلم أن يغضب فقط عندما يساء إلى جناب مصطفانا الحبيبﷺ ولكن الموقف المناسب بالفعل أن يسعى المسلم في وقاية مقام النبي عليه الصلاة والسلام من النيل والطعن والسبّ ، والمحافظة على جنابه من التحرش . لأننا مطالبون بحراسة الدين وحراسة سيد المرسلين ، فلا ينبغي أن ننتظر حتى يساء إليه ﷺ ثم نغضب. لا بل واجبنا أن نحمي عرض المصطفى وجنابه ومقامه من كل سعي أو محاولة للإساءة ، بسدّ أبواب ذلك ، ونفي الأسباب المؤدية لذلك، والصدّ عن كل سبيل متوقع للنيل من رسول الله والطعن فيه .

وهذا الموقف الواجب نبّه إليه القرآن الكريم في قوله تعالى﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ الأحزاب٥٦. فبأمر الله تعالى يجب أن يسلم النبي ﷺ من كل مساعي الطعن والنيل والإساءة ، ويجب أن يكون الرسول ﷺ في سلامة دائمة وحماية مستمرة لا ينال منه أحد أو يقرب إليه مسيء أبداً .

أما تسليم الله تعالى له فهو عصمته من الناس بقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) .

وأما تسليم الملائكة له فقد كان بنزول جبريل وغيره من الملائكة يسلمونه من المبغضين ، فإن جبريل عليه السلام كان يأتيه بخبر من يضمر السوء له ليسلم النبي ﷺ منه.

ـ حماه جبريل من فضالة بن عمير حين أضمر الشر لرسول الله ﷺ وهو يطوف معه عام الفتح ، فأخبره جبريل بنيته الشريرة فدنا منه النبي ﷺ ثم قال له : (أفضالة؟) قال : نعم فضالة يا رسول الله . قال : (ماذا كنت تحدث به نفسك؟) قال : لا شئ كنت أذكر الله ، فضحك النبي ﷺ ثم قال: (أستغفر الله) ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه . فكان فضالة يقول : " والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شئ أحب إليّ منه " [١].

وعليه فواجب الأمة حماية جناب المصطفى من مساعي النيل والطعن والإساءة قبل وقوع ذلك .

وتحقيق هذا الموقف يكون بالقيام بجملة واجبات عظيمة منها :

١. التخلق بخلق المصطفى ﷺ والتزين به مظهراً ومخبراً ، ظاهراً وباطناً .

٢. الاحتكام إلى سنته في كل شأن من شؤون حياتنا الفردية والجماعية .

---

(١) سيرة ابن كثير ، ج٣ ص ٥٨٣ . ٥٨٤ .

٣. الانطلاق إلى آفاق الدنيا بهدي النبوة حتى تستقيم الحياة لنا والناس أجمعين.

بهذه الأمور إذا تحققت فينا ، سيجد كل أحدٍ أن مقام نبينا عظيمٌ يجب أن يعظّم ، لأنهم سيجدون أمّة تعظّم نبيها ، وأن هذا النبي استطاع أن يوجد أمّة ذات خلق عظيم يلفت خلقهم أنظار العالمين فيندفعون إليهم راغبين في التحلي بذاك الخلق ، لا يرغبون عنا ، فإذا اندفعوا إلينا حموا مقام النبوة من الإساءة وقل المبغضون ، وإنْ رغبوا عنا كثر المسيئون.

ــ إذا أقام الحكام والتزمت الأنظمة في سائر دول المسلمين سنة نبيناﷺ في سياساتهم وعلاقاتهم وقراراتهم وسلوكهم مع رعاياهم ومواقفهم من قضايا الأمة ، لو سعت الحكومات والأنظمة في إرضاء المصطفى ﷺ بتبنّي هموم الأمة همّاً همّاً فتناصروا وتعاضدوا وكانوا يداً واحدة على من سواهم ، لما شعر الأعداء يوماً أنهم أولوا قوة أو أن أمرهم عظيم ، ولكفوا أيديهم وألسنتهم عن السوء.

ولقد طلب منا القرآن حماية النبي ﷺ من محاولات النيل والإساءة ، ما من موضع ورد فيه عن إيذاء النبي ﷺ إلاّ كان لله في أمة محمد من المسلمين حكمٌ ، وللمسيء عقوبةٌ .

ـ ففي قوله تعالى : {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }التوبة٦١. ذكر للمسيئين وحكم الله فيهم أن لهم العذاب الأليم. ولكن قبل هذه الآية يشرّع الله تنظيماً تكافلياً عجيباً لو أقمناه بحق لوجد الكفار لزوم اتخاذه منهجاً قويماً ينفي التباغض والتحاسد في مجتمع الناس ، ويلغي الطبقات الجاهلية التي تتكرس وتبقى في سائر المجتمعات بصورة أو لون أو شكل ، عندئذ لعلم الناس أن محمداً ﷺ قد أقام نظاماً اجتماعياً يحقق السلام والوئام والتكافل والتآخي وينزع من صدور العالمين أسباب الحقد والحسد والتباغض فيسارعون إلى تعظيم هذا النبي الكريم ولضاق بذلك مجال

الطعن والإساءة . إنه تشريع الزكاة في قوله تعالى قبل آية الإيذاء تلك {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }التوبة٦٠.

ـ وفي قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً }الأحزاب٥٧ ، حكمٌ على الذين يؤذون النبي ويسيئون إليه وهو اللعن والطرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة ، وهو يتضمن وجوب قتل المؤذين لرسول الله ﷺ ، ولكن الله تعالى أوجب على المؤمنين موقفاً يحمون به جناب المصطفى ﷺ من الإساءة والإيذاء وهو القيام بواجب الصلاة والسلام عليه في قوله تعالى قبل هذه الآية {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً }الأحزاب٥٦.

ـ وفي قوله تعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً }الأحزاب٥٣. واجبات صريحة في حماية مقام النبوة وحياة النبي ﷺ كلها من أنواع وأصناف الإيذاء بدرجاته كلها مهما دنا أوعلا ، مهما خفّ أو اشتدّ ، ووضع لهم نظاماً للتعامل معه ﷺ في الدخول عليه والجلوس عنده والنظر إلى متاعه والتعامل مع أزواجه وغير ذلك مما صرحت به الآية الكريمة .

ولهذا فواجب الأمة أن يحموا رسول الله ﷺ وجنابه الكريم ومقامه العظيم من أسباب الطعن والسبّ والنيل والإساءة والإيذاء بإجراءات تسدّ عنه الذرائع ، وتقفل دون النيل منه الأبواب ، وتصد الكافرين عن سبيل إيذائه عليه الصلاة والسلام .

[٢] موقف المسلمين عند وقوع الإساءة :

أما عند وقوع الإساءة فموقف المسلم معروف على مر تاريخ المسلمين ، فإن المسلم لا يقدر على الصبر عند النيل من النبي ﷺ أو الإساءة إليه إلا ويبادر بالانتقام لجنابه الشريف ﷺ .

حتى في حضرة النبي ﷺ ما كان المسلمون من صحابته يصبرون على أذاه عليه الصلاة والسلام ، حتى لو كان الإساءة محتملة أو مضمرة كانوا يستأذنون رسول الله ﷺ في الانتقام والتعجيل بقتل المسئ .

ـ فكم من مرة يقف عمر رضي الله عنه فور وقوع الإساءة ويطلب من رسول الله الإذن في قتل المسئ يقول : " دعني يا رسول الله أضرب عنقه " ..

ـ وكم من مرة يقف خالد بن الوليد رضي الله عنه فور وقوع الإساءة يطلب من النبي ﷺ الإذن بقتل المسئ يقول : " دعني أضرب عنق هذا المنافق ".

ـ وتلك المرة التي أساء فيها رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ يجيء ولده الذي يحب أباه يعرض نفسه على رسول الله ليقتل أباه.

ولهذا أجمعت الأمّة على قتل ساب النبي وشاتمه ومؤذيه :

ـ يقول ابن المنذر في كتابه الإجماع : « وأجمعوا على أنّ على من سبّ النبي صلى الله عليه وسلم القتل.»[1].

ـ ويقول ابن تيمية في الصارم المسلول: « إجماع الصحابة على أن السبّ ينقض الإيمان والأمان ، ويوجب القتل ؛ فقد نقل عنهم في قضايا متعددة ينتشر مثلها

(١) كتاب الإجماع لابن المنذر : ص ١٥٣ المسألة رقم [٧٢٢] .

ويستفيض ، ولم ينكرها أحد منهم ، فصارت إجماعاً .» (١)

ـ ويقول ابن القيم في زاد المعاد : « ... وقضاء خلفائه من بعده رضي الله عنهم [قتل من سبّه ﷺ] ولا مخالف لهم من الصحابة ، وقد أعاذهم الله من مخالفة هذا الحكم .... إلى أن قال:... وفي ذلك بضعة عشر حديثاً مابين صحاح وحسان ومشاهير " (٢)

وقال الخطابي رحمه الله : " لا أعلم خلافاً في وجوب قتله إذا كان مسلماً " (٣).

وعن مجاهد أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « أيما مسلم سبّ الله ورسوله، أو سبّ أحداً من الأنبياء فقد كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب فإن رجع وإلا قتل ، وأيما معاهد عاند فسبّ الله أو سبّ أحداً من الأنبياء أو جهر به فقد نقض العهد فاقتلوه.»(٤)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل".

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول :يُقتل (٥).

وقال القاضي عياض رحمه الله: "اعلم . وفقنا الله وإياك . أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو الحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصائله أو عرّض به أو شبّهه بشيء على طريق السب له والازراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب فيُقتل، ولا نمتري

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية بتقريب د. صلاح الصاوي : ١٠٣
(٢) زاد المعاد : ج٣ ص ٢١٤ ، والصارم المسلول نفسه : ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .
(٣) عون المعبود ، ج١٢ ص ١٢ .
(٤) زاد المعاد نفسه .
(٥) الصارم المسلول لابن تيمية ، ج٢ ص ١٨ .

فيه تصريحا كان أو تلويحاً.

ونقل عن ابن عتاب أنه قال: " الكتاب والسنة موجبان إن من قَصَدَ النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضاً أو مصرحاً وإن قلّ ؛ فقتلُه واجب" (١).

ونقل أبو بكر الفارسي أحد أئمة الشافعية في كتاب الإجماع أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم مما هو قذف صريح كفر باتفاق العلماء ، فلو تاب لم يسقط عنه القتل ، لأن حد قذفه القتل ، وحد القذف لا يسقط بالتوبة(٢).

وروى ابن القاسم عن مالك فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى قتل إلا أن يسلم

وعن الأوزاعي ومالك رحمهما الله فيمن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يستتاب فإن لم يتب قُتل ، وإنْ تاب نُكِّل فيضرب مائة ثم يترك حتى إذا هو برئ ضرب مائة وهكذا (٣).

وقال الليث في المسلم يسب النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا يناظر ولا يستتاب ويقتل مكانه وكذلك اليهود والنصارى.(٤).

وقال أبو مصعب وابن أبي أويس سمعنا مالكاً يقول: من سب رسول الله أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلماً كان أو كافراً ولا يستتاب(٥).

وروى أشهب عن مالك قوله: من سب النبي من مسلم أو كافر قتل ولم

---

(١) الصارم المسلول لابن تيمية ، ج٣ ص ٩٧٨ ، وشرح قصيدة ابن القيم ، ١٦٢ – ١٦٣ .

(٢) فتح الباري ، للحافظ ابن حجر ، ج١٢ ص ٢٨١ .

(٣) أحكام القرآن للجصاص ، ج٤ ص ٢٧٥.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ، ج٣ ص ٥٧٢ .

يستتب[1].

ونقل عن مالك أيضاً أنه سئل عمن سب النبي فأمر كاتبه أن يكتب " يقتل " فزاد كاتبه "ويحرق بالنار" فقال: " أصبت"[2].

وقال الإمام أحمد رحمه الله : " كل من شتم النبي أو تنقصه مسلماً كان أو كافراً فعليه القتل وأرى أن يقتل ولا يستتاب"

وقال أبو الصقر : سألت أبا عبدالله (أحمد بن حنبل) عن رجل من أهل الذّمة شتم النبي ماذا عليه قال إذا قامت عليه البينة يقتل من شتم النبي مسلماً كان أو كافراً.

وقال ولده عبد الله : " سألت أبي عمن شتم النبي يستتاب ؟ قال : "قد وجب عليه القتل ولا يستتاب، قال: خالد بن الوليد قتل رجلاً شتم النبي ولم يستتبه"[3].

وقال أبو المواهب العكبري : " يجب لقذف النبي صلى الله عليه وسلم الحد المغلظ وهو القتل تاب أو لم يتب ، ذمياً كان أو مسلماً "[4].

فالأمة بأفرادهم وجماعاتهم لا يصبرون على أذى النبي ﷺ ولا يجوز لهم ، خاصة إذا شُتم أو أُسيء إليه ، أو سُخر منه ، أو استهزئ به ، مهما كان الشاتم أو الساب أو المستهزؤ ، قريباً أو حبيباً ، أو زعيماً ، أو أخاً ، أو أختاً أو أباً ، أو زوجاً ، أو معاهداً أو غيره .

فلشاتم الرسول الصارم المسلول ، ليس له سواه ولا يستحق حياة ولا بقاءً في الدنيا

---

(١) المصدر نفسه ج٣ ص ٥٧٣.

(٢) انظر : فيض القدير للمناوي ، ج٦ ص ٤١٢ .

(٣)الصارم المسلول على شاتم الرسول ج٣/ص٥٥٥.

(٤) المصدر نفسه .

وفي الآخرة العذاب المهين .

ولو استعرضنا مواقف المسلمين عد وقوع الإساءة للنبي نجد موقفاً موحداً أو غالباً هو موقف الإسراع للانتقام من المسيئ لجناب النبي ﷺ .

يُقتل مؤذي النبي ﷺ رجلاً كان أو امرأة :

ـ أتى عمر رضي الله عنه برجل سبّ النبي صلى الله عليه وسلم فقتله، ثم قال عمر : من سبّ الله ورسوله ، أو سبّ أحداً من الأنبياء فاقتلوه.»[١]

ـ وعن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال: (من يكفيني عدوي؟) فقال الزبير: "أنا" فبارزه فقتله الزبير فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سلبه [٢].

ـ وعن عروة بن محمد أن امرأة كانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من يكفيني عدوي؟) فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها[٣].

ـ وأخرج أحمد بإسناده أن امرأة سبت النبي ﷺ فقتلها خالد بن الوليد رضي الله عنه .[٤]

ويقتل شاتم النبي ﷺ ولو كان معاهداً ،

ـ فهذا ابن عمر رضي الله عنهم أصلت على راهب سب النبي ﷺ بالسيف وقال: " إنا لم نصالحكم على شتم نبينا ﷺ " [٥]. لأنه نقل إليه أنه شتم ، ولو سمعه لقتله كما في روايات أخرى.

---

(١) زاد المعاد : ج٣ ص ٢١٤ ، والصارم المسلول نفسه : ص ١٠٣ـ ١٠٤ .

(٢) مصنف عبد الرزاق ج٥ ص ٣٠٧ برقم ٩٧٠٤ .

(٣) مصنف عبد الرزاق ، ج٥ ص ٣٠٧ ، برقم ٩٧٠٥ .

(٤) الصارم المسلول : ص ١٠٥ .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ج٧ ص ٣٠١ ، برقم ٣٦٢٨٠ .

ـ وروي أن رجلا قال في مجلس علي ما قتل كعب بن الأشرف إلا غدرا فأمر علي بضرب عنقه وقاله آخر في مجلس معاوية فقام محمد بن مسلمة فقال أيقال هذا في مجلسك وتسكت والله لا أساكنك تحت سقف أبدا ولئن خلوت به لأقتلنه".

قال القرطبي رحمه الله: " قال علماؤنا : هذا يقتل ولا يستتاب إن نسب الغدر للنبي صلى الله عليه وسلم.[١].

وقال في ذلك : "أكثر العلماء على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فإنه يقتل فإنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا"[٢].

ـ وهذا غرفة بن الحارث الكندي رضي الله عنه، سمع نصرانياً شتم النبي ﷺ فضربه فدقّ أنفه فرفع ذلك إلى عمرو بن العاص فقال له : إنا قد أعطيناهم العهد . فقال له غرفة : معاذ الله أن نعطيهم العهد على أن يظهروا شتم النبي ﷺ . فقال عمرو : صدقت .[٣]

ـ وعن علي رضي الله عنه أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها.[٤]

ــ وعن البراء بن عازب في البخاري : قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار ، وأمّر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذي النبي ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن بأرض الحجاز ...القصة ... وقد قتله عبد الله بن عتيك ووضع ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهر .. فلما جاء عبد الله إلى النبي

(١) تفسير القرطبي ، ج٨ ص ٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ج٨ ص ٨٣ .

(٣) الصارم المسلول : ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٤) أخرجه أبو داود : كتاب الحدود / باب الحكم فيمن سبّ النبي ص : ج٤ ص ١٢٩ برقم [٤٣٦٢] .

ﷺ يخبره بمقتل أبي رافع قال له رسول الله : أبسط رجلك . فبسطها ، فمسحها . يقول : فكأنما لم أشتكها قط[1]..

ـ وهذا أيوب بن يحي خرج إلى عدن فرفع إليه رجل من النصارى سب النبي صلى الله عليه وسلم فاستشار فيه فأشار عليه عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أن يقتله فقتله، فكتب في ذلك أيوب إلى عبد الملك بن مروان فكتب يحسن ذلك [2].

ويُقتل شاتم النبي ﷺ ولو كان أخاً:

ـ فعن جابر رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما قال: قال رسول الله ﷺ : (من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله.) فقال محمد بن مسلمة أخوه من الرضاعة : يا رسول الله ! أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم .. فقتله محمد بن مسلمة وأبو نائلة وغيرهما [3].

ويقتل شاتم النبي ﷺ ولو كان زوجاً حبيباً :

ـ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه ، فينهاها فلا تنتهي ، ويزجرها فلا تنْزجر ، فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المعول فجعله في بطنها واتكأ عليه فقتلها، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ فجمع الناس فقال : (أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام .) فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال : يا رسول

---

(١) انظره بتمامه في صحيح البخاري ،كتاب المغازي ، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحُقيق حديث رقم [٤٠٣٩]: ج٧ ص ٣٩٥ . ٣٩٦ ، بفتح الباري .

(٢) مصنف عبد الرزاق ، ج٥ ص ٣٠٧ ، برقم ٩٧٠٦ .

(٣) البخاري : كتاب المغازي ، باب قتل كعب بن الأشرف ، حديث رقم [٤٠٣٧] : ج٧ ص ٣٣٦ – ٣٣٧ بفتح الباري . ومسلم : كتاب الجهاد والسير / باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود : ج١٢ ص ٣٧١ . ٣٧٣ بشرح النووي .

الله ! أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي ، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، وكانت بي رفيقة ، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المعول فوضعته في بطنها ، واتكأت عليه حتى قتلتها . فقال النبي ﷺ : (ألا اشهدوا أن دمها هدر) .(١)

ويقتل شاتم النبي ﷺ ولو كان أختاً عزيزة :

ـ فعن عمير بن أمية أنه كانت له أخت ، فكان إذا خرج إلى النبي ﷺ آذته فيه وشتمت النبي ﷺ ، وكانت مشركة ، فاشتمل لها يوماً على السيف ثم أتاها فوضعه عليها فقتلها ، فقام بنوها فصاحوا وقالوا : قد علمنا من قتلها ، أفتقتل أمنا وهؤلاء قوم لهم آباء وأمهات مشركون ؟ فلما خاف عمير أن يقتلوا غير قاتلها ، ذهب إلى النبي ﷺ فأخبره فقال له: أقتلت أختك؟. قال : نعم. قال: ولم ؟ قال : إنها كانت تؤذيني فيك ، فأرسل النبي ﷺ إلى بنيها فسألهم ، فسموا غير قاتلها ، فأخبرهم النبي ﷺ وأهدر دمها.(٢)

ويُقتل شاتم النبيﷺ ولو كان زعيم قبيلة أو حاكماً او أميراً :

ـ وقد روى الواقدي أن أبا عفك وكان شيخاً من بني عمرو بن عوف ، بلغ عشرين ومائة سنة حين قدم النبي ﷺ المدينة، فكان يحرض على عداوة ﷺ فلما خرج رسول الله إلى بدر ظفره الله بما ظفره ، فحسده فقال قصيدة يهجو فيها النبي الكريم ﷺ ومن اتبعه . فقال سالم بن عمير : "عليّ نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه". فأمهل فطلب له

---

(١) أبو داود : كتاب الحدود / باب الحكم فيمن سبّ النبي ﷺ: ج٤ ص ١٢٩ برقم [٤٣٦١] . والنسائي : كتاب تحريم الدم / باب الحكم فيمن سبّ رسول الله : ج٧ ص ١٠٨ . وسنن الدارقطني : كتاب الأقضية والأحكام / باب في المرأة التي تقتل إذا ارتدت : ج٤ ص ٢١٦ . واحتج به أحمد كما في نيل الأوطار : ج٧ ص ١٩٩ . وقال الحافظ في بلوغ المرام (ج٣ ص ٣٥١) بسبل السلام : رواته ثقات .

(٢) قال في مجمع الزوائد (ج٦ ص ٢٦٠): رواه الطبراني عن تابعيين ، أحدهما ثقة وبقية رجاله ثقات .

غـرة حـتى كانـت ليلـة صـائفة فنـام أبـو عفـك بالفنـاء في الصـيف ، فأقبـل سـالم بـن عمـير فوضـع السـيف على كبـده حـتى خـشّ في الفـراش .[1] وهـذه مبـادرة مـن سـالم بـن عمـير ونـذرٌ للانتقام لجناب المصطفى ﷺ .

ويُقتل شاتم النبي ﷺ ولو كان أباً جليلاً:

ـ وقـد أخـرج ابـن المنـذر عـن ابـن جـريج قـال حـدثت أن أبـا قحافـة سـب النـبي صـلى الله عليـه وسـلم فصـكه أبـو بكـر صـكه فسـقط فـذكر ذلـك للنـبي صـلى الله عليـه وسـلم فقـال: (أفعلـت يـا أبـا بكـر؟) فقـال والله لـو كـان السـيف مـني قريبـا لضـربته فنزلـت ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ .. ﴾ الآية [2].

ـ وهـذا عبـد الله ابـن رأس النفـاق [عبـد الله بـن أبي بـن سـلول] لمـا قـال أبـوه يـؤذي رسـول الله ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ ﴾ [3] وقـف ببـاب المدينـة واسـتل سيفه وجعـل النـاس يمـرون عليـه فلمـا جـاء أبـوه قـال لـه ابنـه : وراءك ! فقـال مالـك ويلـك ؟ فقـال الابـن المحـب لرسـول الله ممـن لا يحتمـل في رسـول الله أدنى مقالـة : والله لا تجـوز مـن ههنـا حـتى يـأذن لـك رسـول الله ﷺ ، فإنـه العزيـز وأنـت الـذليل.. وفي روايـه قـال لأبيـه: والله لا تـدخل المدينـة أبـداً حـتى تقـول رسـول الله ﷺ الأعـز وأنـا الأذل .. ثم جـاء النـبي ﷺ فقـال : يـا رسـول الله ! إنـه بلغـني أنـك تريـد أن تقتـل أبي، فوالـذي بعثـك بـالحق مـا تأملـت وجهـه قـط هيبـة لـه ، ولـئن شـئت أن آتيـك برأسـه لأتيتـك فـإني أكـره أن أرى قاتـل أبي [4]. وهذه مبادرة من ابن المسئ للانتقام من أبيه لجناب المصطفى ﷺ .

---

(١) انظر : الصارم المسلول بتقريب د. صلاح الصاوي : ص ٨٧ .

(٢) انظر : الدر المنثور ، ج٦ ص ٨٦ ، و أضواء البيان للشنقيطي ، ج٧ ص ٥٥٦ .

(٣) من الآية [٨] من سورة المنافقون .

(٤) راجع : تفسير ابن كثير : ج٤ ص ٣٧٢ ، وتفسير فتح القدير للشوكاني : ج٥ ص ٢٧٨ .

وهكـذا يجـب أن يكـون موقـف المسـلمين مـن المسـئ الـذي يسـئ إلى نبينـا في حضـرته ، وإنْ كنـا نسـمع ونـرى رسـول الله ﷺ يـؤذَى ويسـاء إليـه في حضـرة الساسـة وأصـحاب المـال في مجـالس الصـفقات التجاريـة والسياسـية ثم يجالسـون المسـئ ويضـاحكونه ويعاملونـه . وهذا والله ليس الموقف النبيل تجاه رسول الرحمة العظيم ﷺ .

[٣] موقف المسلمين بعد وقوع الإساءة:

أمـا موقـف المسـلمين عنـد سماعـه أن جهـة أو مؤسسـة أو أحـداً قـد أسـاء إلى النـبي ﷺ فواجب الأمة عندئذ بأفرادها وجماعاتها ودولها وأنظمتها جملة أمور:

الأمر الأول :

إظهـار الغضـبة الشـديدة عنـد ذلـك دون انتظـام بهـا أو ترتيـب لهـا ، وهـذا مظهـر مهـم للغايـة ، لـيعلم المسـئ أنـه اقـترف جرمـاً خطـيراً يجعـل أمـة بأكملهـا تهـب غاضـبة ثـائرة ، فيجعلـه يفكّـر ويقـدر فإمـا قتلـه تفكـيره وتقـديره وإمـا هـداه إلى عظمـة هـذا النـبي الـذي أسـاء إليه فيؤوب ويتوب ويشهد أنه رسول الله ﷺ .

الأمر الثاني :

البحـث عـن التأكـد مـن وقـوع الإسـاءة ودرجتهـا ، فـإن تأكـد وقوعهـا وكانـت درجتهـا كبـيرة وأثرهـا واضـحاً وإيـذاؤها للنـبي ﷺ ورسـالته شـديداً ؛ وجـب إهـدار دم المسـئ أينمـا كـان وكيفمـا كـان ، مسـلماً أو كـافراً ، معاهـداً أو ذميـاً ، موقعـاً للمواثيـق والعهـود والاتفاقـات أو غـير ذلـك ، فـإن صـدور الإسـاءة مـن معاهِـد ومواثِـق أو متفـق يـنقض الاتفـاق الموقـع ويلغـي العهـد والذمـة ، ولا يبقـي إلا المؤاخـذة الشـديدة بالقتـل والإبـادة . فيجـب إهـدار دمـه مهمـا كـان حالـه ومهمـا كـان حـال الأمـة ، فـلا يُعتـذر بضـعف أو قلـة ، أو بقـوة العـدو ، وواجـب علـى كـل مـن قـدر علـى النيـل منـه أن ينـال منـه بـأي شـكل مـن أشـكال النيل بقدر الاستطاعة والمكنة .

الأمر الثالث:

إن تَأَكَّد وقوع الإساءة وكانت خفيفة أو مضمرة أو محتملة ؛ واجب الأمة التضييق في المؤاخذة ، وذلك بطلب الاعتذار لما يُفهم من إرادة الإساءة ، وإلاّ تتخذ الأمة موقف المقاطعة السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية والاجتماعية بجوانب المقاطعة كافة . وإنْ اعتذر قُبل الاعتذار وأعيدت المسالمة ، كما قبل النبي ﷺ من كعب بن زهير وأنس بن زُنيم الديلي ، وعبد الله بن أبي السرح وغيرهم .

[٤] موقف المسلمين من الجن :

موقف المسلمين موقف موحد سواءٌ أكانوا إنساً أم كانوا من الجنّ، فالمسلم هو المسلم ، والنبي ﷺ هو نبيهم ، فكما أن المسلم الإنسي لا يحتمل الأذى في رسول الله ﷺ ولا يصبر عليه، فالمسلم من الجن كذلك حاله حال الإنسي لا يصبر على أذى النبي ﷺ . بل ربما كان موقفهم أشدّ وأكثر تعبيراً بالانتقام لجناب النبي عليه الصلاة والسلام .

وقد كان مسلمو الجن ينتقمون من المسئ للرسول ﷺ ولا يستأذنون النبي ﷺ في ذلك ، بل بدأوا الانتقام من المسيئين من الجن للرسول ﷺ بالقتل قبل الهجرة وقبل الإذن بالقتال ، فيقرهم النبي ﷺ على ذلك ويشكر ذلك لها.

فهذا جِنِّيٌّ كافر مبغض لرسول الله ﷺ قاتله الله وقبح وجهه يهتف في جبل أبي قبيس ـ كما يروي ابن عباس رضي الله عنهما ـ مسيئاً للنبي ﷺ ورسالته:

قبّح الله رأيكم آل فهر ما أدق العقول في الأحلام
حين تُغضي لمن يعيب عليها دين آبائها الحماة الكرام
حالف الجن جن بصرى عليكم ورجال النخيل والآطام
يوشك الخيلُ أن تروها نهاراً تقتل القوم في حرام تهام
هل كريم منكم له نفس حرٍّ ماجد الجدتين والأعمام
ضاربٌ ضربة تكون نكالاً ورواحاً من كربة واغتنام

قال ابن عباس : فأصبح هذا الشعر حديثاً لأهل مكة ، يتناشدونه بينهم ، فقال رسول الله ﷺ : (هذا شيطان يكلم الناس في الأوثان ، يقال له : مِسعر ، والله مخزيه) فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف يهتف على الجبل يقول :

نحن قتلنا في ثلاثٍ مِسعراً إذ سفّ الحق وسنّ المنكرا

قنعته سيفاً حساماً مبتراً بشتمه نبينا المطهرا

فقال رسول الله ﷺ : (هذا عفريت من الجن اسمه سمحج آمن بي وسميته عبد الله ، أخبرني أنه في طلبه منذ ثلاثة أيام) فقال عليّ : " جزاه الله خيراً يا رسول الله "(1).

* * *

مدلول الإساءة إلى الأنبياء :

الفعل أو السلوك الدال على الإساءة :

الإساءة إلى مقام الأنبياء جميعاً :

تاريخ الإساءة إلى الأنبياء :

أكثر الأمم إساءة إلى الأنبياء :

الإساءة إلى النبي ﷺ

أسباب الإساءة ودوافع المسيئين :

آثار الإساءة [على المسئ . على النبي ﷺ . على الدعوة . على المسلمين]..

أحكام الإساءة :

مواقف الإسلام [الكتاب والسنة]

---

(1) انظر : الصارم المسلول ، لابن تيمية ، ص ١٥٠ . ١٥١ نقلاً عن مغازي سعد بن يحيى الأموي .

مواقف المسلمين :

مواقف الصحابة ؟؟؟؟؟؟

مواقف العلماء

مواقف العامة

سخط المخلوقات من إيذاء النبي ﷺ .